الى القارئ

لنعتبر بما يقولونه عن أنفسهم

بقلم : محمد مزالي

فى الوقت الذى لا يزال الكثير من رجال السياسة والاقتصاد وحتى ... الثقافة فى العالم الثالث منبهرين بالغرب ، متسابقين الى تقليده ، يمنى الواحد منهم ان ينمى نفسه بان يصبح اوربيا ذا بشرة سوداء او صفراء ـ كما قد يقول قارودى ـ يلاحظ كل الذين يستقرئون احوال أمريكا واوربا الغربية خاصة ويطالعون الدراسات الجادة والتحليلات العميقة التى اخذ ينشرها مفكروها باطراد فى عديد الكتب والمجلات ، ان هذه البلدان « المتقدمة » تشكو أزمة حضارية عميقة وان لم تبد جلية للذين لا يحكمون على الاشياء الا بما تراه العين ، وان القوم يعانون من الشك والحيرة ما أصبح معه بهرج المدنية واضواء المدينة وملذات الاستهلاك عاجزة عن اخفائه او الحد منه .

فهذا بول ايمانويل ، عضو الاكادمية الفرنسية ، يحذر من طغيان النظرة العلمية والتكنولوجية التى هى بصدد توحيد الاوربيين على اساس الاستهلاك العاجل والتطور الاقتصادى السريع ، وافراز ثقافة تجارية تخضع الانسان الى الغايات المادية ومقتضيات وطغيان التكنولوجيا وتحمل الناس على الظن ان كل شيء ـ بما فى ذلك تطور العلاقات البشرية ـ يتسنى ارجاعه الى ما يمكن قيسه وتقديره كميا ، فيؤمن الجميع شيئا فشيئا بحتمية ظهور انسانية تخضع للتخطيط العلمي وتجرد الانسان من سره وتحول دون تساؤله الدائب عن كنهه وتنزعه من ارضه وتحجب عنه سماءه وتحوله الى منتوج مكتمل الصنع . ويصف المفكر الفرنسى حال النخبة الاوربية المنبتة من ثقافتها الاصلية وما

تشعر به من وحدة وغربة ازاء الوطن، اذ طغت العلاقات التكنولوجية وضرورات الاختصاص على الاعتبارات الحضارية ، فيقول : « وانك لترى في مختلف انحاء البلاد الاوربية العلماء ورجال التقنية وقد ساورتهم الحيرة بشأن حدود قدرتهم يبحثون عن وسائل للتخلص الى وضع جديد ، واولى بهم ان يستعينوا على ذلك بخبرات في ميدان معرفة الانسانية غير خبراتهم اي بخبرات الفلاسفة ورجال الفن ، أولئك الذين ما زال يجهلهم كل من تشبث من الواقع بمظهره « الايجابي » فاهمل بذلك واقع الانسان » •

ويضيف بول ايمانويل في نفس المعنى : « ومما يؤسف له ان تنحصر العلاقات الواصلة بين النخبة الاوربية في مجرد روابط الاختصاص وحواجز هذا التقسيم قائمة بصفة شاملة فالعالم الفرنسي أو الالماني يشعر بانه أقرب الى زميله الاميركي او الياباني منه الى شاعر من الناطقين بلغته • وهذا ما يجعل الاخصائيين – اذا ما شغلهم مصير اوربا – يلتمسون حلولا تقنية لا نمطا حضاريا جديدا » •

ولا يخلو الكاتب من سخرية لاذعة ازاء كبار المسؤولين الفنيين اذ يؤكد في شأنهم • « في الوسط الصناعي لا يليق بالاطارات العليا ان تنتقد نظاما يسمح بتوسع نحن مستأجرون لنكون قساوسته حتى لو رفضنا أن نكون مداحيه ، وهذا موضوع لا يتناوله الزملاء بالبحث فيما بينهم ، يصدهم عن ذلك ضرب من الحياء فيمتنع بذلك « البلسم » الانساني الى ابعد الحدود ، الذي يخفف وطأة الآلام الادبية ويحكم على كل واحد بالقبوع في زاويته يعاني صامتا نفس الداء الذي يتآكل جاره ، بل ويكون من قبيل الحذر ان يتظاهر بمظهر الرجل المتمتع بالراحة والطمأنينة » (1) .

ويعتقد الكاتب انه لا يمكن لاي مجتمع عاقد العزم على ان يكون خلاقا أن يتمادى في الفصل بين الذكاء والنفوذ اذ اتضح شيئا فشيئا ان الثقافة ضرورية

(1) Dans le milieu industriel, il serait déplacé, au niveau des cadres supérieurs, de critiquer un système qui permet l'expansion dont nous sommes payés pour être les prêtres même si nous refusons d'en être les chantres. Une sorte de pudeur interdit d'aborder ce sujet entre collègues. Le baume, bien humain, qui adoucit les souffrances morales, y est interdit. Chacun est condamné à souffrir en silence dans son coin du même mal qui ronge le voisin. De plus, il est prudent de jouer le rôle de l'homme à l'aise."
Paul Emmanuel - (Le Figaro - 22/12/73)

لتطور الاقتصاد خلافا لما كان يعتقد من ان الاقتصاد مكيف للثقافة ، ولا يتردد في الاعلان عن انه « اذا لم تدرك اوربا انه ينبغي عليها ان تكون مهد حضارة ثقافات اى قارة التنوع والتعدد بأتم ما في هذه العبارة من معنى فانه ستنقلب في أقرب الاوقات مستعمرة فيواصل تاريخ العالم مجراه بدونها ... » (1)

وانه لموقف جدير بأن يعتبره المسؤولون في العالم الثالث ويعتبروا به حتى لا ينساقوا وراء نمط من التنمية ورؤية حضارية مادية لم تزل الازمنة الحديثة وتطور المجتمعات الراقية ماديا تقيم الدليل على قصورهما عن اسعاد البشر واستقرار العمران واشعاع الحضارة .

فاذا تعالت الاصوات في اوربا اليوم لتعلن عن ان التقنية لا يمكن ان تعوض الثقافة لتقديم حلول لمشاكل الانسان ولاسعاده في هذه الدنيا ، وللتحذير من مغبة « تمليس » البشر واخضاعه لنمط حياة واحد بدعوى الفاعلية والتأكيد على التنويع واحترام حرمة شخصية الشعوب الثقافية والروحية ، فمن باب أولى وأحرى أن نسعى ـ نحن شعوب العالم الثالث ، الذين قاسينا ـ ولا نزال أحيانا نقاسي ـ عمليات التشويه والمسخ والطمس الثقافية ومحاولات الادماج و « التغريب » ونستهدف حتى اليوم إلى الاستغلال والاستعمار وشتى ضروب الهيمنة ـ الى الحفاظ على شخصياتنا وانمائها باقتباس ما يتماشى مع عبقرية حضاراتنا ، والحرص على دعم خصوصياتنا وملامحنا الذاتية ، والايمان بأن الاخذ باسباب العصر واكتساب العقلية العلمية واعتماد التقنيات والتكنولوجيا لا يتنافى ـ بل بالعكس ـ مع التشبث بذواتنا ويستلزم تنمية ثقافاتنا وادراج « المكاسب » العلمية وادوات العمل التقنية في سياقها الانساني واخضاعها الى سلم القيم الحضارية والاخلاقية القومية .

ذلك ان الثقافة ليست ترفا او مجرد استمتاع جمالي ، انها ـ خاصة ـ كما يقول باولو فرير (Paolo Freire) « مجموعة الحلول التي يجدها الانسان للمشاكل التي يطرحها عليه محيطه الثقافي والاجتماعي »

---

(1) Si l'Europe ne comprend pas qu'elle doit être une civilisation de cultures, c'est-à-dire par excellence le continent de la pluralité, elle ne sera bientôt plus qu'une colonie, et l'histoire du monde se poursuivra sans elle.

Paul Emmanuel

ان الثقافة الغربية سواء انتمت الى ليبرالية البلدان البرجوازية أو انتسبت الى الاشتراكية العلمية » مرت ـ كما يقول قارودى ـ من سياسة بلا الـه الى سياسة بلا انسان ، بحيث حاولت التقنية تعويض الثقافة لتقديم حلول لمشاكل الانسان ، ولكن هيهات ان يقنع الانسان فى حياته وتطلعاته واشواقه بما لا يرضى ولا يشفى الا الجانب المادى منه •

ان أروبا مرت من اعلان نيتشه Nietzche الشهير عن « موت الاله » ، المؤذن ـ فى نظره ـ باكبار متزايد للانسان ، الى « موت الانسان » الذى اعلنته تكنوقراطية « ايجابية » تافهة متنكرة فى شكل هيكلية وعلمولوجية ، فكانت المأساة ، لان الشرارة الالهية الموجودة فى كل انسان ابت عليه ان ينحـدر الى منزلة الحيوان ولو تمتع مقابل ذلك بالرفاهية المادية •

ومعنى كل ذلك انه من خطل الراى ان نتبنى تبنيا اعمى النموذج الغربى الاوربى فى الوقت الذى يطلق فيه الايقاظ من اهل الراى فى اوربا صفـارة الخطر حتى لا يطغى عليها النموذج الامريكى الذى يضع مقياس النجاعة والنجاح المادى فى المقام الاول من الاختيارات الحياتية ، وفى الوقت الذى تعانى فيـه الحضارة الاوربية ما تعانى بسبب خيلاء الانسان الاوروبى الذى تجاوز الجانب المقدس فيه فقدس نفسه فكان نصيبه القلق والتمزق والسعى اللاهث السلبى عن قيم جديدة وسعادة سراب ؟•

وهذا بالضبط ما يحلله هنرى دى لا باستيد (1) عندما يلاحظ ظهور المشاغل الروحية من جديد عند الشباب الاوروبى الذى اصبح يطالب بتفسير كـونى للطبيعة والانسان ويحاول فى شىء من الفوضى اعادة ادراج العنصر القدسى فى المجتمع بعد شعوره بما يشبه اليتم من جراء النظريات القائلة « بموت الله » فيقول : اننا نشهد اليوم عملية اخصاب ثانية بعد المسيحية ، للعالم الغربى من الشرق ، وهى عملية تتولد عنها عصور وسطى جديدة بما ينجر عن هذه الولادة من تغيير فى القيم عبر الزمان والمكان : فهذا مفكر ماركسى يصبح مسيحيـا ، وذاك شاب مسيحى « يلتجىء » الى شعائر البوذية التيبتيـة ، ورجـل دولـة يرجع الى معنى الشرعية » الذى ارادت ثورة 1789 ابطـاله وتعـويضه بمعنى « القانونية » وكاتب ـ بخلاصه من « ارخبيل قولاق » يصبح له نفوذ لم يكتب لاحد من قبله الا للبابا ، وتمرد عمالى يدرج فى مطالبه اعادة بناء قصر ملكى •••

---

(1) Henri de la Bastide (Le Monde du 7. 11. 75).

ومجتمع شعرى ـ ارهابى poético-terroriste ينشر تعاليمه الارهابية ويحتفظ بسر شعره ، وجماعة ثورية تفرز غداة انتصارها فى آسيا ، إبطال أشكال الحياة المدنية باعتبارها ملوثة بالتأثير الغربى » .

وهكذا يسير عالم اليوم تتقاذفه الايديولوجيات والثورات المتناقضة ، حيث يلتقى أحيانا أقصى اليمين بأقصى اليسار ، ويضاف الى الخليط التقليدى بين الماضى والحاضر مزج جديد بين الشرق والغرب فهل اخذت تسيطر على مسيرة الامم ظاهرة «الحضارة الكونية» ؟

ويؤكد الكاتب الفرنسى ـ على كل حال ـ «ان ازمة الحضارة الغربية» احتلت فجأة المكان الاول من مشاغل المختصين الغربيين بعد ان كان هؤلاء مشتغلين بأفول الحضارات الشرقية المزعوم . ان اكثر علمائنا ومفكرينا ورجال السياسة والكنيسة منكبون على معالجة هذا الموضوع بصورة ذكية فى اغلب الاحيان • ولكن دون ان يخفوا احساسهم بالخيبة . فلم هذا الشعور بالعجز ؟ والجواب هو ان المشكل قد طرح بصورة سيئة اذ ان مفهوم « حضارة غربية » قد تم تجاوزه ولا يمكن لذلك قبول اية نظرية مستقبلية ما لم تتضمن القيم المنتمية الى الحضارات الخمس الكبرى : الاوربية والعربية والهندية والصينية اليابانية والافريقية (1)

ويتوجه هذ الكاتب كما فعل عدد كبير من زملائه الى الادباء الانسانيين والى الشعراء ليعالجوا القيم الحضارية الاصيلة ويعتقد انهم هم القادرون على التعبير الناجع قولا وكتابة فى هذا السياق الثورى والواقعى معا • ولما كان عددهم قليلا وكان أكثر الناس بهم جاهلين ، يتوجه « لاباستيد » بنداء للبحث عنهم شرقا وغربا ليضعوا تجربتهم وتاملاتهم فى خدمة هذه المغامرة الانسانية الجديدة •

* * *

ولكن أليس فى كل ما سبق ابتعاد عن « الواقع » وتحليق فى الفضاء ؟ كفى اضغاث احلام و « تفلسفا » أو « تفلفسا » كما يقول بعضهم : القوت اليومى

---

(1) نحن لا نوافق الكاتب عندما يقتصر على هذه الحضارات الخمس الكبرى ولا نوافقه بالخصوص عندما يحدد لكل حضارة منها خاصية دون سواها مما يستوجب دراسة خاصة فى مناسبة أخرى .

وبحبوحة العيش والارقام والدراسات الموضوعية ... هذا هو الاهم . وهكذا لا نصغى لاشواق الشباب ولا نتعرف لتطلعاتهم ... ثم تتملكنا الدهشة عندما يقابل هذا الشباب عنف « الكبار » فى محاولتهم « قولبته » وادخاله جنة الرفاهية المادية بالسلاسل ... بعنف أشد منه ، لعل أقسى مظاهره يتمثل فى رفض الحوار والعقوق وقطع صلة الرحم مع الكبار ومع المجتمع ...

ان البشر ـ والشباب خاصة ـ لا يعيشون بالخبز فقط ـ وان كان توفير الخبز للجميع واجبا مقدسا ـ بل يحيون من اجل غايات سامية ويستسهلون الصعاب ويضحون بالغالى والنفيس لتجاوز ذاتهم ورفع منزلتهم ٠ وانه الخطأ الذى لا يغتفر اذا ما تمادت معظم شعوب العالم الثالث فى تقليد الدول المتقدمة اقتصاديا فلم تفكر الا فى رفع المستوى المادى بالنسبة للاجيال الصاعدة ولم تعتن بالجانب الروحى والثقافى ٠

ان فيما يعانيه الشباب والمثقفون والاولياء بالعالم المتقدم من أزمات أخلاقية وحضارية وما يأتونه من عنف أو يتجرعونه من غصص عبرة لمن يعتبر ٠٠٠ فهل نعتنى بالثقافة بحيث نستقل عن غيرنا ونخلق حضارتنا ونساهم فى اثراء الانسانية ؟ وهل نعتنى بالشباب بحيث يؤثر الطريق الوعرة التى هى طريق بناء الذات الفردية والجماعية وطريق التجاوز والخلق ؟

وانما اوردنا اقوالا لبعض المفكرين الغربيين لينظر بعض من يتواضع لقراءتنا الى هذا المشكل نظرة جد ٠٠٠ ان تركت لهم مهامهم اليومية السامية وقتا ٠٠٠ يضيعونه فى شؤون ٠٠٠ الفكر ٠

محمد مزالي

عيون القيروان ؟!

شعر : حسن كامل الصيرفي
(مصر)

من وحي مدينة القيروان في تونس الخضراء

عيون القيروان ... وآه منها ومن نظرات بنت القيروان !
تكحلها الليالي حين تمضي ليلمع في حجاها كوكبان
تدير على الندامى كأس خمر معتقة تعربد بالجنان

◆

عيون القيروان هوى قديم ولكن لم يشب رغم الزمان
لها من مشرق الفتح انتساب الى ما في المشارق من حسان
تسر الى القلوب بغير لفظ حديث اللحظ براق المعاني
يحار الناظرون اذا أفاقوا – كأهل الكهف – في هذا المكان
أكانت نقلة عن دار وهم الى طوف بأرجاء الجنان ...

◆

عيون القيروان ... لقد نعمنا بإسراء تمثل في ثوان ... !

القيروان في 21 / 3 / 1975

التعليم الهيكلي للعربية الحية

بقلم : رضا السويسي

الدكتور رضا السويسي هو أستاذ بدار المعلمين العليا اختص فى الألسنية ، ألف كتاب التعليم الهيكلي للغات الحية باللغة الفرنسية وهو ثمرة تجربة شخصية وسبق تأليف هذا الكتاب ان شارك فى تأليف ستة كتب أخرى فى تدريس الفرنسية فى نطاق المرحلة الثانية من التعليم الثانوى ثلاثة منها خاصة بالتلاميذ وثلاثة خاصة بالأساتذة .

والدكتور رضا السويسي ألف كتاب التعليم الهيكلي للعربية الحية فى جزأين : نظرى وتطبيقى وهو مخطوط كما حقق مثلثات قطرب (مخطوط) . ونحن لا يسعنا إلا أن ننوه بهذا العمل الألسنى الذى يعتمد أهم ما جد بأروبا فى علم الألسنية ونكبر مجهوده فى إشاعة هذا العلم فى تونس ومساهمته فى إثرائه بالجامعة التونسية .

« الفكـر »

مما لا شك فيه أن تطورا جذريا قد حصل فى منهجية تعليم اللغات ، وان صنفت المؤلفات وأقيمت الندوات والتربصات بالنسبة لتعليم اللغات الاجنبية ، فان تدريس اللغة العربية لا يزال يخضع لضغوط عديدة متنوعة ، لعل من أقواها وأشدها حدة تعصب بعض القوم لها غيرة عليها فقصدوا مواتها من حيث شاؤوا احياءها ٠

ان التضلع فى لغة ما لا يعنى بالمرة القدرة على تدريسها : حقيقة بديهية اذا ما سلمنا بصدقها حققنا للباحثين عن منهجية سليمة تتماشى وواقع اللغة العربية مناخا يمكنهم من البحث الموضوعى العلمى المجرد عن كل خلفية مهما كان نوعها ٠

ويمكن اعتبار كتاب « التعليم الهيكلى للعربية » مرحلة أولى تستهدف تدريس لغتنا للاجانب ، لعلنا نصل بعد انتهاء البحوث والدراسات الجارية حاليا فى نطاق البحث العلمى الى تحقيق منهجية متكاملة تعنى بتدريس العربية لابنائها ٠

ولسائل أن يسأل : ولم نعتت العربية بالحية ؟ ولم نعت تعليمها بالهيكلى ؟

ا نالمسألة جوهرية فى حد ذاتها ، لم يشأ صاحب الكتاب اتباع موضة ولا أراد أن يخالف ليعرف ٠ فالعربية الحية هى تسمية ترمى الى غايتين : أولهما الاستجابة الى المتعارف من أن اللغات الحية هى اللغات الاجنبية لمتعلميها ، فالعربية الحية هى لغة أجنبية بالنسبة للاجنبى عنها ، وأما الغاية الثانية فهى محاولة تحطيم مفاهيم ومقاييس متوارثة أعقمت لغتنا وطرق تدريسها سواء كان ذلك بالنسبة للاجانب أو لأبناء العروبة أنفسهم ٠

واذا ما سلمنا بأن اللغة الحية هى وسيلة للتعريف والتعرف والتعارف والمعرفة فعوض أن ننقل ثقافتنا وقيمنا وحضارتنا الى الاجانب فى لغاتهم لم لا نحاول أن نمدهم بأنجع وسيلة ليتعرفوا عليها عن كثب ، ونكون بذلك قد كفينا أنفسنا مشقة الترجمة ووفرنا للغتنا فلأمتنا حق الحياة ضمن ركب هذه الامم المتسابقة نحو الرقى والتقدم ٠ وتتمثل هذه الوسيلة الاساسية فى تعليمهم لغتنا ، خاصة وقد أقرتها منظمة الأمم المتحدة لغة عالمية تستعمل فى المحافل الدولية كالانجليزية والاسبانية والفرنسية ٠

وان أصبحت ثقافتنا وحضارتنا بما فى ذلك من قيم أدبية وأخلاقية وعلمية وفنية لا تستجيبان لمقاييس حضارة تتسم بالتقنية والمادية (والاستهلاكية) فلا يعنى ذلك بالمرة أنهما لا تواكبان العصر خاليتى المنفعة منعدمتى القيمة ، فلكل حضارة مظاهرها الايجابية والسلبية ، وسلبيات الحضارة المادية المعاصرة تضاهى فضائلها ، وقد شهر بذلك كل عاقل حكيم من مشارق الارض مغاربها ٠

فتشبثنا بأصالتنا وبلغتنا هو حبل السلام من كل غزو مهما كان نوعه وان الغزو اللغوى المتفشى حاليا فى أمتنا هو أخطر غـزو عرفته الانسانية ٠ كما أن تمسكنا بلغتنا هو النجاة من كل تفسخ تحاول الدول المصنعـة فـرضه علينا : لغتنا هى ضمان كياننا ٠

ولكن لا يعنى هذا بالمرة التحجر والانغـلاق مثـل ما فعلت بعض الـدول النامية ، لانه لم يعد للعزلة مجال ولا للانفراد مكان ، بل أصبح التعاون الدولى مفروضا على عالمنا فرضا ٠ فالتفتح هو أضمن وسيلة لنجاح هذا التعـاون ٠ وبديهى ان للانغلاق مساويه ، تحق ذلك السلطات السياسية التى تفـرضه على أمة ما وان قنعته بشعار الوحدة القومية والذود عن كيان الوطن ، فانه لا يخلو من أبعاد سياسية غايتها القصوى عزل الفرد عن العالم الخارجى وبالتالى تكييفه حسب مقتضيات الحال ٠

فان كان ضمان كياننا فى لغتنا فضمان حياتنـا فى تفتحنـا ، اذ نصبـح بفضله على صلة بالقيم الكونية ونفلت من قبضة الضغوط المكثفة المسلطة علينا من واقعنا الطبيعى والاجتماعى والسياسى والاقتصـادى ، فتسمـو بـذلك أحكامنا وتترفع قيمنا وتتسم مواقفنا بالموضوعية والتجرد والحكمة فننتقل من عهد الوقوف على الاطلال الى نظرة مستقبلية ، لعل لنا فيها باعثا على الشعور بتحقيق ذاتيتنا ٠

ولعل كذلك فى تعليمنا لغتنا للاجانب أعظم مساعد على التحول من مواقف الاستسلام والاستهلاك ، تلك المواقف التى أبرز ما تتميز به أنها بمثابة ردود أفعال أو قل هى سلبية مجسمة ، فنتحول حينئذ الى انطلاقة اجـابية تـواقة للاحداث سباقة ، فنعلم ونعلم الغير بطموحنا وتطلعاتنا وقيمنا الروحية منها والحضـارية ٠

وما الغاية من هذا كله الا حمل القارىء على ادراك مدى مكانة اللغة فى حياة أمة برمتها ، وحتى يلمس عن كثب الظاهرة العملية التى يتعين على اللغة الحية أن تتسم بها وتتميز ٠ ولا شك أن هذا أبعد ما يكون عن نزعة بعض الائمة المعتصمين بكـراسى الجـامعـات ، المتـزمتين الـذين يفرطـون فى التقصى والاستقصاء بحثا عن « العلة وبنت العلة » فيميتـون اللغـة من حيث أرادوا احياءهـا ٠

أما الرد عن السؤال الثانى فى نعت التعليم بالهيكلى ، فهو شديد الصلة بالنظرة المنهجية الحديثة المنبثقة عما أفضت اليه دراسات وبحوث فى عالم الالسنية يضيق المجال عن بسطها وشرحها ، وتلخص فى اعتبار اللغة مجموعة هياكل وعلاقات لا مفردات منفردات .

وان متصور تدريس مادة ما يؤدى حتما الى اهتمامين اثنين ، أولهما يبحث فى الوسائل وثانيهما ، يهتم بالمادة نفسها ٠ وبما ان مادة بحثنا هى اللغة العربية فقد أصبح من الضرورى ان نعتبرها واقعا اجتماعيا بالدرجة الاولى ، أى وسيلة تخاطب وابلاغ ٠ وحيث ان الفكر البشرى فى حاجة الى آلية ألسنية يتمكن بواسطتها التعبير الفورى عما يريد الافصاح عنه عند تحاوره مع الغير والاتصال به ، دون تعثر أو تلعثم ، فان الحصول على هذه الآلية الالسنية يركز على كسب الهياكل الاساسية للغة ٠

كما أن تعدد اللهجات المحلية بالنسبة للعالم العربى وتنوعها لأقوى دليل على ضرورة تجاوز المعطيات المعجمية بل انزالها منزلتها الثانوية والاهتمام بالقاسم المشترك بينها جميعا وبين الفصحى المكتوبة ، ألا وهى الهياكل الاساسية ٠ فالعربية فى مفهومها الهيكلى ، لا المعجمى ، لا تتغير كثيرا سواء كنا بسوريا أو تونس أو بالمغرب أو العراق بمصر أو الحجاز .

أما فيما يتعلق بالوسائل المستخدمة فى تدريس اللغة الحية فلقد أظهرت الوسائل السمعية ـ البصرية نجاعتها ، فطبيعى حينئذ أن يقبل مدرسى اللغة العربية الحية على استعمالها والاستعانة بمختلف أنواعها : فمن اللوحة الوبرية الى مخبر اللغات الى الحلقة المغلقة ٠

وخلاصة القول فان هذا العمل المتواضع الذى لا يزال متواصلا بمخابر دار المعلمين العليا بتونس هو بمثابة المساهمة البسيطة فى تحقيق منهجية متطورة لطرق تدريس لغتنا ٠

دور الثقافة في تنمية الانسان

بقلم : محمد مزالي

لقد استخلص « فرلين » VERLAINE في خاتمة قصيده « الفن الشعرى » ، بعد أن امتدح الموسيقى والاستمتاع بالمباهج الطبيعية « أن الباقى انما هو أدب » !٠ ومنذ ذلك الوقت جعل بعضهم يستنقص الادب باسم الواقعية وباسم حقيقة الاشياء والسعى الى النجاعة والنجاح فى الحياة ٠٠

وكذلك الشأن بالنسبة الى الثقافة التى يعتبرها بعض إخصائيى التنمية ، وبعض التكنوقراطيين المعنون بالنمو المخطط ، الذين أخذ عددهم يتضاءل ، والحق يقال، بمثابة نشاط ترفيهى كمالى، ويصنفونها ضمن الوظائف الجماعية التى لا صلة ولا أثر لها فى « القوى المنتجة » ٠

ان تنمية الانسان فى نظر هؤلاء « المطلعين » وأهل الذكر فى فن الاقتصاد ، إنما تتوقف على التصنيع والاستعارة المطلقة للتكنولوجيا ، والزيادة السنوية للمنتوج القومى الخام ، وترتبط بتطور استهلاك الكهرباء ٠٠ فلا شىء يستحق الفخر عند بعضهم أكثر من تحقيق فائض فى ميزان الدفوعات ، ولا شىء يستوجب الاعتذار أكثر من فشلهم فى الزيادة من رقم المعاملات التجارية ٠٠ بل ان هذه التنمية تقتضى فى رأى أكثرهم « تحررا » وأوسعهم إلماما بمثل هذه المواضيع «الفنية» الدقيقة ، قطيعة ، أو بعبارة ألطف وقعا ، تجاوزا للثقافات القومية التى هى ليست فى نظرهم سوى بقايا موضوعات ورواسب تعبير وتفكير عتيقين تحول دون معانقة العصر ، وتؤخر تحقيق التقدم المنشود ٠ انهم اذا صادف ان تحدثوا عن الثقافة فى سويعات فراغهم ، يهتمون على الاكثر بنماذج من فلكلور أكل عليه الدهر وشرب ، وغالبا ما تنم عن ذوق مريب ٠

ان الثقافة المبخوسة باعتبارها ، على غرار الادب او « اليدب » ـ كما يحلو للبعض أن يسميه ـ وعلى غرار الفن والرياضة ، نشاطا مجانيا هامشيا لا يؤثر في سير الاشياء ، قد ادمجت في عدد كبير من البلدان الراسمالية ، وبلـدان العالم الثالث التي تقلدها في غفلة من أمرها ، داخل مضاربات القيمة التجارية. فقد استغل بعض التجار ، او بالاحرى التجاريين ، منجم السادية الشبقية المتفسخة التي تستمد قيمها ، ان صح التعبير ، من نوع الثقافة البورجوازية المتداعية للاثراء السهل ، وشد الانسان ـ والشباب خاصة ـ الى اللحظة التي يعيشها ، والى الغريزة والاستمتاع الاناني بالحياة الى أقصى الحدود . وتسابق القوم باسم ثقافة تنتحل المعاصرة والتحرر وباسم سينما يـدعى تجريبيـا ، ومسرح يسمى طليعيا ، وقصة تنعت بالقصة المضادة ، وأدب هو الى سوء الادب أقرب وبه الصق .. تسابقوا الى فرض علاقات استغـلال اخطبوطية بتمجيـد اللامعقول والبدائية واعتبار الانسان مجرد ركيزة للغرائز الجنسية ، تتحرك وسط عالم مهزلي ـ مأسوي معا ، وذلك بدعوى تحريره وتجنيبه الاستلاب او الاغتراب ووقايته من الانسحاق والرجوع به الى طبيعته الحقيقية .

أما في بعض البلـدان الاخـرى ، المسماة بالتقدميـة ، وفي الجهـات التي « اختارت » ان تتحرك في مدارها الايديولوجي وتدور في فلكها الفكري ، فان الثقافة يسيرها ، ان لم نقل يسخرهـا تسخيرا ، البيروقراطيون وهي تظـل خاضعة لتبريرات سياسة ما ، وتبقى مكيفة باعتبارها مفروضة عليهـا فرضـا من عل .

وفي كلتا الحالتين فان الثقافة ، عوض ان تسهم في النهوض بالانسـان اي في تفتح طاقاته الذهنية والنفسية والبدنية والجمالية حتى يضطلع بمنزلتـه البشرية على خير الوجوه ويتمكن من صنع نفسه وتغيير العالم المحيط بـه ، تصبح آلة فعالة بايدي الراسماليين الغزاة أو أداة طيعة تحركها « الاجهزة » الرسمية لتكييف الانسان والتلاعب به اكثر فأكثر ، وابقائه في سن السفـاه واللامسؤولية ، شبيها اكثر فاكثر بالآخرين ، مطابقا اكثـر فاكثـر للضوابط والقوالب والانماط المفروضة .

ومع ذلك فان كل الايديولوجيين والمسؤولين كيفما كانت أنظمتهم الاجتماعية والسياسية يهدفون الى النهوض بالانسان ويعلنون عن عزمهم على تحريره من الاطواق البدنية والاجتماعية والاقتصادية التي ترهقه وتصرعه وتفسد مداركه.

لقد تقدم الانسان بلا ريب فى القرن العشرين على الخصوص فالنهضة العلمية العجيبة ومآثر التكنولوجيا وتطور التقنيات مكنته - اكثر من ذى قبل - من فهم العالم الخارجى الذى يعيش فيه ومن السيطرة عليه الى حد بعيد . لقد تجاوز معدل الحياة ضعف ما كان عليه وتناقصت ان لم نقل زالت الاوبئة والمجاعات ، كما ان قارات بكاملها ازاحت عن نفسها نير الاستعمار وامسكت اليوم بزمام مصيرها .

ونتج عن ذلك كله نشوة الوفرة والرفاه ، وظمأ الى الاستهلاك وشغف بالارقام والخطوط البيانية وثابتات المردود الاقتصادى ، واجلال للتقنية وتدله بالعلم الذى هو فى الواقع نفى للعلم ، وايمان بالتنمية الانسانية باعتبارها غاية فى ذاتها واعتقاد فى حلول حضارة وضعية علمانية تتحقق فيها سعادة الانسان بسد حاجاته الاجتماعية والمادية وباقامة الحقوق مقام الواجبات . والرفاهية مقام المجهود ، والنجاح مقام المثالية . والرتابة اليومية مقام الخيال الخلاق .

بيد انه لابد ان نلاحظ مع عدد متزايد من المفكرين والعلماء والمسؤولين السياسيين ان البشرية تتخبط اليوم فى متناقضات عدة اذ بلغت المغامرة الانسانية من تاريخها مرحلة محفوفة بالمخاطر ، واصبحت الحضارة المعاصرة رغم تحكمها المتزايد فى العالم ، بصدد البحث عن قيمتها العليا وعن معنى قدر الانسان .

وقد عبر الفيلسوف الالمانى «هيدقير» **HEIDEGGER** عن هذا القلق الذى يعترى الانسان المعاصر رغم تقدمه العلمى والمادى والمتمثل خاصة فى فقد الطمأنينة وابتعاد النفوس بعضها عن بعض رغم اقتراب المسافات ، وفى تمزق الزمن رغم الوسائط السمعية البصرية العصرية،فقال: اللامأوى أصبح مصير العالم ، الانسان اصبح بلا جذور ، صار المتجول ! والمتجول هو التجسيد الخاص للغريب الذى لم يفقد مأواه فحسب ، بل فقد ايضا وضعه فى الزمان أيضا ، كما عبر عالم الاجتماع المعاصر «سيمان» **SEEMAN** عن هذا البحران الذى أصبح فيه الانسان فى النصف الثانى من القرن العشرين فأكد « ان العالم يتجه الى الجحيم فى سلة واحدة » وهى سلة تستحيل - كما يقول مجاهد ع مجاهد - الى مصيدة لا يعرف الانسان منها فكاكا .

وان الامر لا يتعلق اليوم بتقمص شخصية المتحذلق العصرى أو بتبنى مذهب العودة الى الطبيعة الذى تجاوزته الاحداث ولا طائل من ورائه . وليست المسألة

فى اعادة عصر « ذهبى » الى الوجود بل فى عقل الحاضر وتسييره وتهيئة المستقبل ، فلنتبصر فى الواقع !

وبما اننا نحظى ـ نحن البشر ـ بشرف أثيل يحتم علينا أن نحيا حياتنا بكل أبعادها وان نضطلع بانسانيتنا على الوجه الاكمل يتعين علينا ان نحاول ضبط ثقافة على مستوى الانسان وبامكانها الاسهام فى تنميته تنمية متناسقة شاملة .

★★★

ان تناقضا أولا يبرز بين الحياة النشيطة لمجتمعات ارتقى بها وحولها تحويلا جذريا الازدهار الاقتصادى والتقنيات الجديدة والاسكان العصرى وبين الفترات الزمنية البطيئة لتطور اجتماعى مسطح ومتناسق . ان النسق المفرط فى سرعة التصنيع ، وزحف السكان الريفيين الى المدن الكبرى وبحثهم عن الشغل ، اجتثت جذور الافراد بدون ان تمكنهم من وعى جغرافى جديد متماش مع الحياة الحضرية بعد ان رجهم فقدان الوعى الجغرافى المرتبط بحياة المجموعات الصغيرة ، وان لهذه القطيعة بين الانسان وبيئته ولهذه الضخامة السكنية ، ضحايا كثيرين يعانون الصدمات ويشكون فقدان الاعتبار رغم توفر الشغل (وهو غير مضمون دائما) ورغم المسكن اللائق الذى يتوفر فيه الماء والكهرباء ورغم امتلاك المذياع والتلفاز ...

وللتغلب على هذه المفارقة الجغرافية ينبغى اذن اعادة « اقرار الانسان فى سكنه » ومساعدته على التأقلم مع الاشكال الجديدة للحياة المشتركة فى صلب المجتمعات المصنعة المتقدمة . وهكذا تبدو الثقافة ترياقا واقيا من التجريدات الخاصة بالعلوم النموذجية كالاقتصاد ، وعنصرا معدلا ، وتنظيما او عاملا تربويا من شأنه أن يعين البشر على سكنى فضائهم وعلى مزيد من التأقلم مع العلاقات الاجتماعية الجديدة .

كما يظهر تناقض ثان فى كل مكان وخاصة فى أقطار العالم الثالث وفى مستوى العلاقات التى كانت فيما مضى خلايا اجتماعية حية حيث يجد الشاب الطمأنينة ويتلقى التربية ويحصل على توازنه النفسانى فى جو من الحنان والمحبة تضمنه العائلة دون سواها بفضل ذلك الاتصال البدنى والروحى القائم بين الابوين والطفل والذى لا يتوفر الا بحنان الامومة ورعاية الابوة ،

ذلك انه ليس ثمة دار حضانة ولا بلدية شعبية ولا عمل اجتماعى جماعى ولا قاعدة صحية وغذائية عصرية او علمية بامكانها تعويض الآباء والامهات • والحال ان هؤلاء يتناقص وعيهم لمسؤولياتهم اذ هم يحرصون على «الاستمتاع بحياتهم» ويتكلون على المجتمع او على الدولة الصانعة للمعجزات فى نظرهم كى تتكفل لاطفالهم بالتربية والتكوين ثم بايجاد الشغل ، ليس هذا فقط بل ان بعض الابناء لم يعودوا يجدون انفسهم فى آبائهم ، انهم يرفضون سلطتهم تحت مفعول محتوى بعض البرامج الثقافية التى تنضح سلبية وتلقن النقد الكلى لمعنى الوجود • ان الشباب اصبح فى حالات كثيرة يتأرجح بين فرويد FREUD ومـاركس MARXفى انتظار مزيد من تبسيط نظريات « مركوز MARCUSE باحثا دون جدوى عن مرجع كى يحدد موقعه من الحياة ويظفر بمعنى لوجوده •

ان الكتاب العصريين الرائجة سوقهم والذين يحتكرون المكتبات المدرسية وكتبيات المدينة يتبارون فى توضيح اللاتبليغ أو اللااتصال بين الناس ، واللاوجود والعبث ، كذلك يسدد « بوريس فيان » BORIS VIAN « وارتو » ARTAUD « وبيكيت » BECKETT فى اوروبا الغربية الطعنة القاضية للنزعة الانسانية • وكذلك ـ كما لاحظ بيار هنرى سيمون P.H. SIMON ـ بنى « سارتر » J.P. SARTRE مجده الاول على الاشمئزاز من الانسان الا انه والحق يقال قد ندم على ذلك ـ فيما يبدو ـ واعلن ان الوجودية نزعة انسانية ، ولقد أكد « ميشال فوكو » M. FOUCAULT ان «كل البحوث التى تشكل العلوم الانسانية تتلف التصور الكلاسيكى للانسان ، اى النزعة الانسانية بوصفها مرجعا لانسان نمط من الحضارة ، ليس هذا فقط بل انها تنزع الى جعل فكرة الانسان ذاتها فى البحث والتفكير عديمة الفائدة » •

اولئك هم قادة التفكير او بالاحرى قادة الاعفاء من التفكير الذين يبحث عنهم ويعجب بهم الشباب فى العالم المتقدم وفى البلدان النامية التى تحاكيه لا فقط فى تقدمه العلمى والتكنولوجى بل كذلك فى نمط عيشه ونماذجه الاجتماعية ، أما البيئة الثالثة واجهزة الاتصال الجماهيرى فانها لا تعمل دائما على ان يجد الشباب توازنه وعلى ادماجه داخل سلم من القيم واضح المعالم بل بالعكس •

ان الثقافة الاصيلة هى التى تسهم فى اعادة بناء العائلة لا على أساس أبوى سلطوى قمعى بل على اساس ترابط عضوى وعاطفى باعث على الثقة • يجب ان تساعد الثقافة الشباب على مقاومة كل الاتجاهات الآنهيارية والانكارية المحقرة

التى تتهدده ، وعلى تمكينه من تجاوز قلقه الوجودى والتبرم من « قيود » يومه وغده ، ومن تجنب كل سلوك انتحارى • وفوق ذلك فان الثقافة الحق هى التى تنزع الى اذكاء الارادة الخلاقة لدى الشبان وهم براعم ممتلئة نسغا ، والى الابقاء على انفعالات سنى تفتحهم الاول وتزكيتها ، والى غرس التفوق الى العظمة فى نفوسهم والى شحذ روح الشرف فى ضمائرهم ، والى تمكينهم من الاكتمال عن طريق العمل والايثار والبذل •

والتناقض الثالث الذى يزيد من توضيح المشاكل التى تطرحها الحياة العصرية ويصور دوار العالم الحالى يمكن تلخيصه بهذه الصيغة التى التقطناها من تقرير صادر عن « معهد مساشوستش للتكنولوجيا » بطلب من « نادى روما » منذ حوالى عامين وهو بعنوان : نمو دليلى لفضاء منته (1) والمفهوم من هذا التناهى انه محدود ليس فقط فى مساحته بل ايضا فى موارده •

وفعلا اذا كان سكان العالم يزدادون بنسبة ٪2 فقط ، فان عددهم يتضاعف كل 35 سنة ، اما اذا كانت نسبة تزايدهم ٪3 فان المضاعفة تقتضى اقل من 24 سنة وبذلك فانه يكون لنا سنة 2000 ، سبعة مليارات نسمة وفى 2030 فمن المحتمل ان يبلغ هذا العدد الخمسة عشر مليارا ، واذا كان النمو الديمغرافى لا يطرح مشاكل كبرى فى الاقطار الغنية اذ هو دون الضوابط المسلم بها ، اذ ان النمو الاقتصادى يتجاوزه حجما ، فانه يشكل مأساة حقيقية فى البلدان النـــامية •

ومما يزيد فى استفحال عدم التوازن هذا ان ٪ 20 من البشر يستهلكون ٪80 من الانتاج العالمى . ومن بين الـ ٪80 المحرومين يوجد ٪30 يشكون نقصا فى التغذية منهم ٪11 يموتون جوعا او يهلكون من فساد التغذية ، ان العالم كما لاحظ روبار مالى **Robert MALLET** مريض ، انه مصاب بالسمنة هنا لكثرة الثراء ، وهو هزيل هناك لشدة البؤس • انه هنا وهناك ولاسباب متعارضة يعانى امراض الاسراف او العوز التى تتهدد كامل توازنه الحيوى ولا فائدة من التأكيد بهذه المناسبة على تدهور القدرات الغذائية والموارد الطبيعية وعلى تفاقم التلوث بصفة عامة •

---

(1) « Une croissance exponentielle dans un espace fini ».

فى هذا المجال ايضا ، يمكن للثقافة الاصيلة ان توقظنا من غفلة القرون ، وان تخلصنا من تفاؤلنا الساذج ، وان تقطع ما بيننا وبين عادة الاهمال وترك الحبل على الغارب ، وان تجعلنا نعى ما يربطنا بالبشر اثريائهم وفقرائهم ، بيضهم وسودهم ، من تضامن رهيب ، اذ ينبغى تجاوز انانية البعض وتنمرات الاخرين • اننا جميعا مبحرون فى مركب واحد ، متماسكون فى السراء والضراء فينبغى اذن أن نغير العقليات وان نتخلص من افكارنا الموروثة ومن آفاتنا الباطنية وان نفكر فى اقتسام الثروات بصورة عادلة ، ولا باسم الاحسان او الأريحية المتنازلة ، ولا حتى باسم الدين التاريخى المتخلد بذمة الاقطار المصنعة تجاه الاقطار النامية ـ لنتذكر فى هذا الصدد الابتزاز البشرى والاقتصادى الذى مارسته الاقطار الاستعمارية سابقا ، خلال قرون عديدة تجاه الاقطار المستعمرة ـ بل بمقتضى رؤية صحيحة لتطور العالم وبمقتضى ادراك واضح متميز لشروط السلام بين البشر ، بل أقول لشروط بقاء الجنس بقيد الحياة •

والى جانب هذه الثورة الثقافية التى ينبغى ان تتحقق فى مستوى البشرية بكاملها وخاصة فى مستوى المسؤولين الذين يرشدون المواطنين ويقودون التغيير ، فانه يجب على قادة العالم الثالث ان يسيروا فى سياستهم الديمغرافية على هدى رؤية انسانية وأخلاقية الغايات والوسائل • أيجوز لهم الامتناع عن مصادمة الجماهير بتعلة احترام المعتقدات والمحضورات فى حين أنهم مقتنعون بان بؤس شعوبهم يتفاقم حتما اذا هم لم يتحكموا فى تزايد النسل ؟ أما اذا ما آثروا قول الحقيقة لشعوبهم ، ففى أى نظام من القيم أى باسم أية ثقافة يدرجون التنظيم العائلى ؟

أتراهم يطبقون التنمية الاجتماعية بالمراسيم والاوامر المطلقة التى تصل حد الاكراه كما يبدو الحال فى بعض بلدان آسيا ؟ ام أنهم يختارون تربية الجماهير ببطء لكن بعمق بقصد رفع الجبرية عن التوالد ، ويفضلون توعية الاباء والامهات بمسؤولياتهم تجاه أولادهم لا بوصفهم مجرد والدين بل مواطنين احرارا ، وتعليمهم متى وكم يستطيعون ان ينجبوا من اطفال وتحسيسهم بضرورة الوقاية الصحية والنفسية للأم والمحافظة على انسجام الزوجية وتوازن الاسرة ؟ فى الحالة الاولى يندمج التأثير فى التوالد ضمن مجموعة الاعمال الرامية الى اقرار نمو آلى يرمى الى اسعاد الانسان بدونه ورغما عنه ، وفى الحالة الثانية ، يتعلق الامر بتربية ديمغرافية مدمجة بوصفها بعدا أساسيا لتنمية الانسان الشاملة • وهكذا تبدو اهمية الثقافة •

وفي سياق مسألة الصحة العائلية التي أثرتها أطرح مشكل الطب نفسه الذي لا يمكن في نظري أن ينفصل عن تصور شامل للحياة والمجتمع . فهل الطبيب في خدمة الشعب أم انه يبيع خدماته لمرضاه داخل نظام المزاحمة ؟ وهل المريض مادة سريرية غريبة ورابحة أم انه ينبغي ان يفهم ويعالج في كامل منزلته البشرية ؟ يجب ان تكون افكارنا مترابطة ومنسجمة بعضها مع بعض وهذا ايضا احدى نتائج الثقافة الحق : انه لا يمكن ان نتحدث بصدق وبدون انسياق مع اللفظية العقيم عن الاشتراكية والعدالة حين نتكلم عن مشاكل ايديولوجية ونمارس في الان نفسه الانانية واستغلال الاخرين .

ان ايمان يوم الجمعة وايمان الايام الاخرى من عمل المنافقين وأميي الثقافة. هذا الخداع وهذا الفصام في السلوك اللذان يعودان الى انعدام الثقافة الحق ، أو هذه الصورة من الثقافة البالية المفرغة من محتواها ، تظهر كذلك في سلوك بعض الرجال ازاء المرأة التي يعتبرونها شيئا من الاشياء ويستغلونها بدون وازع ، بينما هم يواصلون التشدق في الصالونات بالمساواة والعدل ويتظاهرون في بعض المناسبات بتقدمية ظرفية قد يكونون آمنوا بها وهم طلبة شبان ، عندما اكتشفوا المشاكل الاجتماعية كما يكتشف المراهقون الحب لاول مرة ... ثم يطول السفر ويرتخي الوتر ... كما يقول المثل الشعبي .

وهناك ظاهرة اخرى يتميز بها عالمنا الحالي وهي تتطلب موقفا ثقافيا صاحيا وصحيحا ، أعني تقييم قدرات العلم باعتباره عامل تنمية للانسان ، لقد ساد الاعتقاد طوال عدة عقود أن التطور المدهش للعلم سيفسر كل شيء ، سيجيب عن تساؤلاتنا الخلقية والماورائية من دون استثناء ، سيحل مشاكلنا الاجتماعية والاقتصادية ويضمن تنميتنا الشاملة .

لقد حكم اليوم عدد كبير من المفكرين ، واكثرهم من العلماء ، على العلموية Scientisme الساذجة ، فالعلم الجدير بهذه التسمية يزهو بتواضعه ! انه طريقة تقص للكائن كما هو ، وهو لا يخترع الا ما يمكن اختراعه ، ولا يرفع البهائم الى مصاف الملائكة ولا الانسان الى منزلة الالوهة حسب عبارة روبير مالي .

ان الاكتشافات العلمية العجيبة قد ضاعفت بلا ريب وبصورة ضخمة قدرة وتأثير الانسان في الكون ولكنها كشفت بصورة واضحة هشاشته الداخلية وفضحت حدود تحكمه في نفسه . وفي هذا السياق فان انفجار أول قنبلة ذرية بهيروشيما في أوت 1945 كان منعرجا حاسما في تاريخ الانسان والعلم.

ويحسن في هذا الصدد ان نذكر قولة انشتاين **EINSTEIN** الشهيرة عندما ادرك مدى الخطر الناتج عن استغلال اكتشافاته العلمية في اتجاه قد يؤول بالبشرية الى الاضمحلال والهلاك : « انها مصيبة عظمى ان لم أكن نشأت لحاما » ٠

ولئن حصل في القرن 19 وفي بداية القرن العشرين شبه اجماع على ان يتولى العلم تكوين الانسان ، معوضا في ذلك العائلة والدين والاخلاق وان يقوم مقام الثقافة ، فهناك اليوم اتفاق على الاعتراف باستحالة هذه المهمة ولقد لاحظ « مالرو **MALRAUX** انه اذا كان التاريخ قد عرف فترة مجيدة بفضل « سبنسر » **SPENCER** « وماركس » **MARX** و « وتوينبي » **TOYNBEE** فذلك لانه عوض القدر ، اذ ما كان لاي مؤرخ أن يؤثر في زمانه بما يكشف له من الماضي اذا لم يرسم ذلك الماضي المستقبل بصورة ما ٠

واذا كان علم الاحياء قد ورث هذه الشهرة « فذلك لان الانسان ينتظر منه ان يشرح مغامرة الجنس البشري » وقد أصاب مالرو عندما لاحظ ان ازالة الغموض عن اصل الجنس البشري تمس بالجذور الدينية للانسان ٠ ان ما يذهب اليه ماركس وخلفاؤه انطلاقا من فلسفة التاريخ من ان الانسان آلة تحركها الهياكل الاقتصادية للمجتمع او ما يستخلصه « مونود » **MONOD** من البيولوجيا ليثبت ان ليس لوجود الانسان معنى وان ليس هناك الا الضرورة او الصدفة ، كل ذلك يرجع لا الى العلم بل الى ما وراء الطبيعة « الميتافزيقا » او الى ما وراء العلم **Métascience** ٠

ان العلم رغم شدة الحاجة اليه في تقدم الانسان وتنميته لا يمكن له ــ وهو لا يدعي آخر الامر ذلك ــ ان يعطيه عن العالم تفسيرا شاملا غير قابل للطعن ٠ وفق هذا فان العلم يحتاج الى الاندماج في صلب ثقافة تكون في مستوى الانسان لصيانة الحضارة الانسانية ودرء الاخطار عن الجنس البشري ٠

لقد افادت الصحف منذ اشهر قليلة ان الدكتور « كورانا » **KHORANA** الذي احرز جائزة نوبل سنة 1968 تتويجا لاعماله في فك رموز الوراثيات ، قد تمكن في مخبره من صنع حلقة حياتية ادمجها في بكتيريا أو عزلها بافراز حمض « التيروزين » وهذه الطريقة تمكن من معالجة عنصر الوراثة بتنويع عدد وتركيبات الماهيات الاربع التي تتكون منها رموز الوراثيات **Code génétique**

وبتحوير الرصيد الوراثى لنبتة ما يمكن تلقينها تثبيت الازوت ، وبذلك يتحقق توفير فى الاسمدة الاصطناعية ، كما يمكن بذلك تلقين خلايا المصابين بالسكر افراز مادة الانسولين • ولكن ماذا يحدث لو أن معاملة فاشلة افرزت أصلا ممرضا وتسببت فى جائحة رهيبة ؟ ومن ذا الذى يضمن ان هذه الاكتشافات البيولوجية لا يستعملها احد المشعوذين لبعث بعض الامساخ والنيل من اعمق اعماق ذاتيتنا ؟ ان « الالفا » Alfa و « القاما » Gamma و « الابسلون » Epsilone التى يتحدث عنها هكسلى Huxley لا ترجع ، كما هو ملاحظ ، الى العلم التصورى • ان اينشتاين Einstein واوبنهيمر Oppenheimer وزملاءهما لم يتصوروا ابدا « هيروشيما » و « نقازاكى » حين كانوا يكتشفون الذرة • هنا ايضا يحتاج الانسان الى قيم خلقية للتحكم فى نفسه بعد ان تحكم فى الطبيعة •

وهناك مشكل اخر يطرح نفسه على ضمائر البشر تبعا للتقدم الحاصل فى الدراسات الخاصة بالاشتغال الآلى AUTOMATION ان الامر لا يتعلق بتكنولوجيا تصورية بل بواقع ملموس يتمثل فى ظهور مجتمع يعتمد على العمل القائم على الانسان الالى ، او الاشتراكية الاليقراطية ROBOCRATIE SOCIALE كما يسميها « لوى باولس » LOUIS POWELS واذا انعدمت الحواجز الاساسية من الناحية التقنية لاقامة معامل آلية تماما بفضل عدسة اللازر ŒIL LASER ، والذاكرة الالكترونية والدماغ الصناعى كما تؤكده الدراسات التى نشرها « جيمس البوس » JAMES ALBUS المهندس بوكالة التجارب الفضائية الامريكية و « جون ايفانس » JOHN EVANS المختص فى الصناعة الآلية INDUSTRIE ROBOTISEL كيف يمكن حل كل المشاكل المطروحة فى مجالات الاقتصاد والسياسة والاخلاق ؟ من المستفيد من مردود عمل الانسان الالى ومن يمتلك ويراقب القوة الاقتصادية وبالتالى السياسية التى يمثلها هذا الانسان الالى ؟ كيف سيتصرف الحكام والايديولوجيون ، والنقابات فى الوقت الذى يعاد فيه النظر فى اخلاق الشغل وفى الوقت الذى لم يعد يمكن فيه تحقيق حرية العامل عن طريق تحسين الاجور وأنسنة المصانع وحتى بواسطة نظام قائم على التصرف الذاتى ضمن نمو مخفض وفق ما اقترحه « قارودى » GARAUDY بل بتنمية تكنولوجية فوق المطلوب Sur développement technologique تجعل من الانسان مواطنا بالمعنى الذى كانت تقترن فيه الكلمة بالمنزلة فى روما القديمة (باولس)

نلاحظ انه اذا كانت الانسانية على ابواب ثورة صناعية تنجر عنها تحولات اجتماعية واقتصادية وحتى سياسية عميقة ، فانه يتعين على الثقافة ان تعين مواقع كل هذه التحولات المنتظرة داخل نظام قيم متماسك وان تجنب الانسان الصدمات والمفارقات التي عاناها نتيجة للثورة الصناعية في القرن التاسع عشر .

* * *

ولعله من المفيد ان نذكر في هذا الصدد بتلك الحيرة التي عبر عنها «مالرو» في كتابه الاخير الذي ظهر منذ ايام بعنوان «الانسان العابر والادب» (1) حيث تساءل : هل يا ترى تكون مجتمعاتنا الصناعية قادرة على افراز حكمة جديدة؟

لقد حاولنا خلال هذا التحليل ان نبين ا نالتقدم الذي يحققه أو يظن الانسان انه يحققه في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية لا يمكن ان يضمن بمفرده تنمية الانسان الشاملة ولا الامن والهناء والسعادة بل بالعكس فكلما سيطر الانسان على العالم الخارجي وأنجز براعات تقنية ومآثر تكنولوجية ، تبين بصورة أجلى جهله لذاته ، وخفة موازينه الاجتماعية وتناقضاته الوجودية وحاجاته الحيوية الى الاخلاق أي الى ثقافة تصلح بينه وبين نفسه وتعطي حياته مدلولا .

ولكن بأية ثقافة يتعلق الامر ؟ بتلك التي تبقى بعد ان نكون قد نسينا كل شيء حسب التعريف الكلاسيكي المنسوب الى رجل السياسة الفرنسي المعروف ادوار هريو **E. HERRIOT** أم تلك التي تبقى اذا لم نتعلم أي شيء حسبما يقوله الفكاهيون ؟ أم « بوعي الانسان وعيا متطورا ابدا ، بذاته وبالكون الذي يعيش ويعمل ويكافح فيه » حسب سارتر ؟ أم « بما يجعل الانسان على ما يبدو ، شيئا آخر غير كونه حادثا كونيا » كما يقول مالرو ؟ أم انها ليست سوى تراث حضاري موروث عن الاجيال وعن حكمة وفن حياتيين ؟ أم هي الاخذ من كل شيء بطرف كما يقول الجاحظ ؟

كل هذه التعريفات المعروفة تعبر عن جزء من الحقيقة ولكنها كلها تؤكد على الجانب القار من الثقافة التي ليست في نظري مجرد انعكاس لواقع كائن او

---

(1) L'homme précaire et la littérature.

لجزء من شريط التاريخ ، انها اولا وبالذات عقلية وتفرغ نفساني وذهني ، يهيء ويدفع الى العمل قصد تغيير الواقع او الظاهرة او قصد تغيير العالم كما يقال اليوم ٠

ان الثقافة تتضمن نفاذا استبطانيا يمكن الانسان من التعرف الى نفسه وادراك كنه ذاته ومن التوصل الى استجلاء الانا الداخلي وتفهم طرائقه السلوكية . انها تفترض قوة روحية تكتسب بلا انقطاع ، مهذبة ومنشطة بواسطة مجهود ضاغط على الذات وبواسطة تصرف غايته تأبيد اللجاج السقراطي harcèlement socratique المسلط على الضمير ، ومطابقة سلوك الانسان وتبريره وفقا لوصايا ذلك الضمير ٠

الثقافة تتضمن فكرة عن المستقبل وتصورا لحياة البشر في الغد ، فهي تسمح بتسطير برنامج يقدم فيه الفكر غايات انسانية تهيأ بمشاركة الجميع وتقبلها المجموعة ٠ ان هذا الفعل المسلط على الواقع الاجتماعي او الاقتصادي أو الانساني لا يمكن أن يكون نهائيا لاجتناب الروتينية والتحجر العقائدي والخمول الايديولوجي وتقهقر الانسان ٠ قال بريشت BRECHT انه يجب تغيير العالم ثم تغيير هذا العالم المغير ٠

كل هذا حسن ولكن لتغيير العالم يجب تغيير البشر ، لا الهياكل الاجتماعية والاقتصادية فقط ، ومن هنا جاء الدور الاول للثقافة التي تعبر بذلك عن المجهود الضروري المتواصل الذي يبذله الانسان ليتغير وليتطور وليغير الحياة ٠

فالثقافة اذن ان هي الا حالة عقلية ونفاذ استبطاني وتاريخي ومشروع مستقبل وتصرف : وهي ايضا عمل واختيار حر ، فالمستحيل يصبح ممكنا بالارادة وبالتزام البشر الاحرار الكرام الذين يسبقون معتقداتهم ومبادئهم على مطامحهم ورغائبهم ٠

هذا التطبيق العملي PRAXIS الذي نوه به ماركس والذي يقترن باسمه في كتب الفلسفة المعاصرة التي تؤثر في عدد من شبابنا لقنه النبي محمد صلوات الله عليه للمسلمين قبل ظهور « نظريات فيورباخ (I) » بأكثر من I2 قرنا اذ جاء في القرآن الكريم : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »٠

ان الدور الاولى الذي يتعين على الانسان ان يقوم به لتغيير منزلته ، وتغيير هذا الكون بعيدا عن كل جبرية معقدة قد ذكرت به الآية «ان الله لا يغير ما بقوم

(I) Thèses de Feurbach

حتى يغيروا ما بانفسهم » ٠ فلا مستحيل بالنسبة الى الانسان المثقف الذى له قوة الامل وحزم الارادة او الذى يتعلم كيف يتخلص مما ليس فيه وليس منه الا بصورة عرضية ، والذى يبذل الجهد الضرورى ليعيش لا كفرد ، كصفر اجتماعى ، كنسخة مطابقة للاصل ، بل كشخص ، كشخصية ٠

وهكذا فانالثقافة ليست هى ما يدفع الانسان الى الرسوب فياضغاث احلامه بل الثقافة هى ما يمكنه من ان يسترسل الى حلم تلتقى فيه الواقعية بحقيقة الامور فى تجاوز وبعد نظر يضفيان على الاشياء من الاشراق ما ينسقها ويكسبها كل مفهومها ومعناها ٠

تلك هى الثورة الاصيلة والنزعة الانسانية الحق ٠ ان الموضوعية طريقة تقص مفيدة ، والوضعية ـ بقدر حصرها للعقل فى مستوى المعطى ـ تسمح بالاحاطة بالواقع وبفهم كيفية الاشياء ولكننا نوشك ان نبتر الانسان اذا نحن قصرناه على ذلك ، اذا تجاهلنا بعده الملائكى اذا لم نفهمه كما حدده الجرجانى فى « التعريفات » بانه « الجامع لجميع العوالم الالهية والكونية الكلية والجزئية» واذا لم نتصوره كاملا على نحو ما جاء فى القرآن : «لقد خلقنا الانسان فيأحسن تقويم » ، اى اذا اهملنا الثقافة التى تعطى مدلولا لحياة الانسان وتنشطها ٠

وهكذا نرى ضخامة وخطورة خطأ بعض المسؤولين فى بلدان العالم الثالث خاصة وبعض اخصائى التنمية الذين يطففون من شأن دور الثقافة فى تنمية الانسان ويستشهدون بمقولة « فرلين » لتطبيقها على الثقافة ويؤكدون على الاستثمارات الاقتصادية والتقدم المادى فقط ، فليفكروا مليا فى حالة الناس ـ والشبان خاصة ـ الذين يصرخون بانهم لم يعودوا « يشعرون بكينونتهم » فى اقطار ضربت كل الارقام القياسية فى النمو الاقتصادى وبلغت شأنا كبيرا فى التخصص والاحتكار وتوحيد الانماط البشرية ، لم يعودوا يعرفون كيف يستعملون ثرواتهم وهم يعيشون على « سطح انفسهم » ـ كما يقول برنانوس BERNANOS ويتخبطون في وضعية ضيقة وجودية ويعانون قلقا يعترف بهما ويحللهما مفكروهم أنفسهم ولعل الكاتب اندرى بياتر ANDRE PIETTRE لخص هذه الحالة عندما قال فى جريدة « لو فيقارو » اليمينية (I) بالخصوص ما يلى :

(I) لوفيقارو Le Figaro العدد الصادر يوم 29 ـ 2 ـ 1975 ٠

ما ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها حتى اصبح تدهور الدول الغربية - فى نظر اوزوالد سبنقلر Oswald SPENGLER وبول فاليرى P. VALERY على ما يفصل هاتين الشخصيتين من فوارق - واقعا لا رجعة فيه

ويقول فاليرى : « ان هذا التدهور غير ناتج عن الفوضى الداخلية وحسب بل كذلك عن الانتصارات التى فزنا بها بالخارج اذ ان انتشار علومنا وتقنياتنا بما تكتسيه من صبغة عالمية شاملة ترجعنا الى حدود ابعادنا المتواضعة»

ويضيف فاليرى : « ان العالم يتطور بصفة ستجعل حجم الموارد المادية والمعطيات الاحصائية تكيف دون سواها تجزئة العالم الى مناطق مختلفة.

والسبب فى ذلك اننا عملنا فى غباء على ان تصبح القوى مناسبة للكتل (1) .

ومما تجدر ملاحظته أن وطأة هذه الكتل قد زادتها شدة ثورتان لم يتوقع سبنقلر SPENGLER وفاليرى VALERY لهما حدوثا : الثورة الاشتراكية التى تشمل اليوم ربع البسيطة وتحرر العالم الثالث .

وبين هاتين الكتلتين ترى العالم الغربى بما فيه أمريكا الشمالية يتقلص شيئا فشيئا .

ولا غرابة فى الامر اذا لم يغب عنا ان العالم الثالث الذى لم يكن يشمل سنة 1960 الا ثلثى العالم أصبح يضم سنة 1975 ثلاثة أرباعه وسيمتد الى اربعة اخماسه قبل نهاية هذا القرن .

ورغما عن ذلك فان الغرب ما زال يحتل الصدارة والغريب فى امره انه متعرض فى نظامه الى توجيهات عنيفة يشنها ضده من لا يتردد بعد ذلك فى التماس مساعدته ملحاحا .

ان الثورة الاشتراكية بالمذهبين المنشقين عنها والقائمين بيوغسلافيا والصين وكذلك تحرر العالم الثالث لم يكونا الى حد الآن فى مستوى الخير الذى توسم

Nous avons étourdiment rendu les forces proportionnelles aux masses. (Variété I. La crise de l'Esprit 1919).

فيهما ، وذلك لانهما لم يفوزا بنمط من التقدم الاقتصادى ، يوفق بين المدينة والريف والصناعة والفلاحة .

الا ان الغرب لا يستطيع ان يحافظ على مكانته هذه الا اذا استطاع تجنب ما يعرف فى التاريخ بثالوث الانحطاط المتمثل فى الخلافات الباطنة بما ينجر عنها من تطاحن للطبقات والانخرام المالى بما يترتب عنه من تضخم ووهن الاسرة بما يتبعه من تضاؤل فى النسل . ثم يتساءل الكاتب فى حيرة ، وهذا الذى يهم موضوعنا بالذات :

« فهل سيتوصل الغرب الى اضفاء معنى سام على حضارته التقدمية وهل سيوفق الى الخروج بثقافته من شكوكها وبضميره من مشاغله وبرفاهيته من السآمة التى تهددها ؟ »

ولعلى لا أبالغ اذا قلت ان بعض الاوساط فى هذه البلدان بلغت بشهادة أهل الرأى فيها نقطة القطيعة التى عرفها « تاسيت » TACITE شاعر روما قديما ، بقوله انها النقطة التى « يصبح فيها الجسم الاجتماعى لا يتحمل داءه ولا دواءه !.. »

★ ★ ★

وهذا ما يدعونا الى مزيد التأمل فى واقعنا والحذر من التقليد الاعمى والسعى الى وقاية حضارتنا من عناصر التداعى وعوامل الانهيار حتى نؤدى رسالتنا فى الكون ونربط مستقبلنا بماضينا المجيد .

ذلك ان الثقافة التى حللنا مقوماتها تحليلا عاما هى أيضا شعور بالذات واحياء لروح الامة وتركيز للهوية القومية والتعرف على تراث الشعب وتدعيم للقيم العربية الاسلامية الخالدة التى عرفها وطننا العربى قبل الانحطاط والاستعمار والاغتراب الحضارى الذى زيف تاريخنا وشوه مدنيتنا ومسخ ذاتيتنا بان ابتلانا بضرب من التعطيل والعقم وغرس فى نفوسنا شعورا بالحقارة تجاه مقومات ذاتيتنا فتنكرنا للغتنا حتى أصابتنا العجمة وابتعدنا عن تراثنا حتى خيل لمرضى النفوس منا باننا أمة ليس لها ماض تعتز به ولا روح تميزها عن غيرها من الامم فى حين أن الثقافة فى مفهومها الاسمى هى جماع ما انتجته عبقرية الامة مدى الاجيال وصهرته فى مسيرتها ليكون قوام شخصيتها والمعبر الصادق عن تطلعاتها وامانيها والدعامة الحق لوحدة أبنائها .

فالثقافة ينبغى ان تنبثق من واقع الامة والا اصبحت لقيطا هجينا لا يمثل شيئا . وحذار من النظريات الطاغية التى تجلدنا بها بعض الدول العظيمة جلدا

متشدقة بعالمية الثقافة ، اذ لكل أمة عبقريتها ولكل ثقافة مميزاتها فلا فضل لثقافة على أخرى الا بما تعلى به من شأن الانسان وتضيفه الى الحضارة البشرية ·

وليس معنى ذلك اننا من دعاة الانغلاق والانكماش على أنفسنا بل اننا ندعو الى التفتح الواعي والواسع على الثقافات الانسانية المختلفة شرقيــة كانت أم غربية ، وذلك لتحقيق وعى سليم متجدد بالتاريخ ومواكبة التطــور السريــع الذى تشهده الحضارة الانسانية حتى نسهم بدورنا الطبيعي ـ نحــن العرب المسلمين ـ فى بناء انسانية افضل واجمل ·

ولكن تطلعنا وطموحنا الى مواكبة العصر لن يكونا الا بالانطلاق من واقعنــا وبالمحافظة على مميزات عبقريتنا ـ وان كل تعاون ثقافي ينبغى أن يطهر مــن رجس الكبرياء ، إن التعاون الحق يقتضى الحوار الدائم بين الثقافات وذلــك يعنى تنوع هذه الثقافات وتعدد وجوه طرافتها وان ثقافتنا العربية الاسلاميــة لها مميزاتها وطرافتها وعبقريتها التى ينبغى أن تكون منطلقا لكل تطلعاتها فى النمو والتجدد · وانه لخير لك مثلما قال الان ALAIN ان تشرب فى كف يدك من ان تشرب فى كاس مستعارة » ·

ولكن هذه الثقافة الاصيلة كما جاء فى محاولة تعريفنا لهــا ، تفترض قيــام تربية قومية ملائمة مرتبطة بالواقع ومرتكزة على سلم قيــم دينيــة واخلاقيــة وجمالية واجتماعية واقتصادية ، تعترف بها وتقبلها المجموعة ··· ان التربية والثقافة عمل يتجه الى العمق اكثر مما يتجه الى المساحة ، ويتعيــن عليهما ان تسبقا وتقودا كل تنمية فعلية وشاملة للانسان · حينئذ كيف نختــار ونهىء نظاما تربويا ملائما يتولى تكوين الاجيال الصاعدة ويساعدهم على ان يتصوروا وان ينجزوا وان يتقلدوا ـ وفق عبقرياتهــم القوميــة ـ مشروع حضــارة فى مستوى مثلهم ومقتضيات سنة 2000 ، مشروعا يقى من وهن العزائــم المذيب ويجتث جذور العدمية والعبث ويسمح بالامل ·

ذلك هو المشكل الكبير الذى يطرح نفسه لا على الحكام واخصائى البيداغوجيا فقط بل على المجموعة باسرها ، ليس فى العالم العربى والدول النامية فحسب، بل وفى كافة اقطار العالم ·

وقبل حل هذا المشكل ، بل لنقوى على حل هذا المشكل ، بخلق الظروف الملائمة لتنمية الانسان تنمية اصيلة ، عصرية ، متكاملة ، ينبغى ان نعترف بان الاستثمار الثقافى هو أكثر الاستثمارات مردودا اذ لايوجد منجم طبيعيأخصب ولا أبقى من الفكر ولا رهان ألصق بالحلم والواقع معا من الرهان على الانسان ، خليفة الله فى الارض · (سبتمبر 1976)

الرفيقة الخالدة

كتابة : عبد الهادي شرودة

لو كنت طفلا ، لالتهمت قطعة الحلوى الخضراء ،

النائته ، فى وجه افريقيا

ذات الخلجان والسواحل المتجعده .

لامتصصت همومها ولم أتضخم كالعمله

كالبطون المتخمه .

لهضمت كل تضاريسها الاجتماعية المتناقضه .

◆

من يمنحنى براءة الطفل ؟ ، لامتدح الزهرة فى الوحل

والفراشة فى النار

لاقول : لا ، ولو عبثا ، فى وجه الريح

فى وجه الهراوه

فى وجه العالم ...

لاصفر عند قاعدة التمثال ،

تمثال العظمة الزائفه

والبطولة الوهميه

(*)لا أدعى فأقول : إن هذا .. « الشعر » ! إنه بكل إيجاز : (كتابة) .

لاسعى فى المدينة نصف عار تحديا للفقر
والاخلاق
وأعداء آخرين كالبرد
والترف ٠٠٠٠٠٠ الخ ٠

◆

من يهبنى براءة الطفل ؟
وغفلة العصفور ؟
وسعادة الوردة ؟
لارقص تحت المطر فى غبطه
وأغنى فوق جماجم الآلهه
وسواعد المحاربين الرخاميه ،
لابتسم فى الجنائز اليومية ،
أو هكذا ،، لاكون غبيا وسعيدا تحت الهراوه
وفى الطابور المتراصف ، من العبيد
والمرتزقه !!

◆

انها المأساة ،
أن تضحك وفى نيتك البكاء
أن تهلل وفى نيتك اللعنه
فى هذه المدائن ــ المسارح
حيث الساسة الحواة
والخطباء الجوف ..

انها المأساة ،

فكن طفلا اذا استطعت

كن عصفورا

كن وردة

كن خرثيا على الرصيف

كن عمودا أو هيكل سياره ...

ولا تكن انسانا واعيا !!.

اذ لا جدوى من التهاب الجمجمة

وانكسار القلب ..

واحتفظ بحبالك الصوتية ، للصراخ فى جهنم ،

فالحرية ليست خلف الجبل

أو فى البحر ،، لتناديها ،،

ليست بغلا نافرا

أوشاة تائهة وراء السهوب ،

انها حيث الارادة

والجـرأة

فى الارض التى لا تتاخم

ولا تكف عن النبض ،

رفيقة الانسان الذى لا يموت أبدا ...

القيروان في شعر شعرائها القدامى والمعاصرين

بقلم : أحمد الطويلي

من من شعراء القيروان وأدبائها ، قديما وحديثا ، لم يتغن بها ولم يهزج بحبها ولم يفتخر بالانتساب اليها ولم يعتز بمعالمها وأمجادها ولم تستول عليه نشوة الولادة بها وفرحة النشأة بحى من أحيائها ؟

ان شعراء القيروان منذ العهد الاغلبى الى اليوم انشدوا هيامهم بها وعبروا عن تعلقهم بمدينتهم وحنينهم اليها غائبين عنها وحاضرين .

ولنرجع الى كتب المنتقيات الادبية التونسية ، فسنجد العديد من الشعراء القيروانيين الذين تغنوا بمدينة الاغالبة وضمنوا اشعارهم مشاعرهم نحوها ، ووصفوا فيها معالمها ، وطبيعتها ، ورجالها وآثارها ...

ولنكتف بكتاب المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب الموسوم بـ « المنتخبات التونسية للناشئة المدرسية » والمنشور بتونس سنة 1336 بالمطبعة التونسية سوق البلاط . والذى أعيد طبعه قبل وفاة صاحبه بعنوان « مجمل الادب التونسى » ففيه عدد من الشعراء كتبوا عن القيروان ، وذكروا اسمها فعبد الرحمان بن زياد بن انعم المعافرى الافريقى المتوفى سنة 161 هـ.

بقول وهو بالعراق :

ذكرت القيروان فهاج شوقى ... وأين القيروان من العراق ؟
مسيرة أشهر للعير نصا ... على الخيل المضمرة العتاق
فبلغ انعما وبنى أبيه ... ومن يرجى لنا وله التلاقى
بان الله قد خلى سبيلى ... وجد بنا المسير الى ه ـزاق

وعبد الرحمان هذا قد تربى بالقيروان ونشأ بها ، وتعلم على أساتذتها ثم توجه الى بلدان المشرق للمزيد من التعلم • لكن شوقه الى القيروان اشتد فذكر المسافة البعيدة التى تفصله عن مدينته وارسل هذه الرسالة الشعرية مبشرا أهله بالرجوع الى مزاق وهو اسم قديم من اسماء جهة القيروان لان السحب تتمزق عندها .

ويفتخر أبو القاسم الفزارى (ت حولى سنة 430 هـ) بالقيروان وعلمائها وصلحائها وأهل الخير بها ، فيزهو بهواها ويفضلها حتى على عاصمة الخلافة بغداد • فأهل بدر هم الذين خطوها وأسسوها ، وعقبة بن نافع الصحابى الجليل هو الذى أقام بنيانها على الدين والتقوى ، وركزها على دعائم الايمان والصلاح ، بالدعوات المستجابة • ويروى لنا الشاعر قصة بناء المدينة ذاكرا ملحمة تشييدها :

فهل للقيروان وساكنيها عديل حين يفتخر الفخور
بلاد حشوها علم وحلم واسلام ومعروف وخير
عراق الشام بغداد وهذى عراق الغرب بينهما كثير
ولست أقيس بغداد اليها وكيف تقاس بالسنة الشهور
بلاد خطها أصحاب بدر وتلك الخط ساحتها أمير
بناها المستجاب وقد دعا فى جوانبها دعاء لا يبور
بناها كل بدرى كريم كأن صفاح وجوههم بدور
هم صلوا بمسجدها براحا وليس لها جدار مستدير
هم وضعوا لها أسسا وساسا فقدست المواضع والصخور
وقادهم الآذان اليه حتى أضاء لهم من المحراب نور

ووصف ابراهم بن غانم بن عبدون الكاتب المتوفى سنة 421 مجلسا من مجالسها العلمية بالمسجد الجامع بالقيروان ، ووصف ثريا من زجاج عجيبة :

ومجلس تقوى يجلس الناس عنده جلوسا صموتا فهو أرقى مجلس
قناديله من وحشة الليل داجيا هداية أبصار وايناس أنفس
يضيء بها صافى الزجاج كضوئها فتبهر لحظ الناظر المتفرس
كأن القناديل المدارة حولها جفون رنت منهن أعين نرجس

وقال على بن أبى الرجال المتوفى فى حدود سنة 425 وهو رئيس ديوان الانشاء بالدولة الصنهاجية ومربى الامير المعز بن باديس ومكتشف ابن رشيق وابن شرف ومقربهما الى البلاط . قال يتشوق الى أهله بالقيروان وهو متألم لفراقها ، محتدم الحنين اليها :

ولى كبد مكلومة من فراقكم اطامنها صبرا على ما أجنت
تمنتكم شوقا اليكم وصبوة عسى الله ان يدنى لها ما تمنت
وعين جفاها النوم واعتادها البكا اذا عن ذكر القيروان استهلت

ونشير الى قصائد ابن رشيق (ت 456) وابن شرف (ت 460) التى بكى فيها الشاعران القيروان بعد نزوحهما عنها اثر الزحفة الهلالية سنة 443 هـ. وهى قصائد طويلة النفس نلمس فيها العويل والندب والبكاء المرير لخراب مدينتهما واضمحلال عمرانها ، وانتكاس الحضارة بها .

يقول ابن رشيق :

أترى الليالى بعدما صنعت بنا تقضى لنا بتواصل وتدان
وتعيد أرض القيروان كعهدها فيما مضى من سالف الازمان
حسنت فلما ان تكامل حسنها وسما اليها كل طرف ران
وتجمعت فيها الفضائل كلها وغدت محل الامن والايمان
نظرت لها الايام نظرة كاشح ترنو بنظرة كاشح معيان
...أعظم بتلك مصيبة لاتنجلى حسراتها أو ينقضى الملوان
حزنت لها كور العراق باسرها وقرى الشآم ومصر والخرسان
وتزعزعت لمصابها وتنكدت آسفا بلاد الهند والسندان
وعفا من الاقطار بعد خلائها ما بين أندلس الى حلوان
وأرى النجوم طلعن غير زواهر فى أفقهن وأظلم القمران
والارض من وله بها قد أصبحت بعد القرار شديدة الميلان

فالقيروان كانت عنده مركز الدنيا ، ودرة المدن لشهرتها وتألقها واشعاعها البعيد الممتد الى جميع ارجاء العالم من العراق الى مصر ، ومن بلاد الهند الى فارس .

اما ابن شرف فهو يخاطب القيروان من وراء البحار وهو مقيم بالاندلس والشوق يضطرم بقلبه ، ويلتهب :

يا قيروان وددت انى طائر   فأراك رؤية باحث متأمل
يا لو شهدتك اذ رأيتك في الكرى   كيف ارتجاع صباى بعد تكهل
واذا تجدد لى أخ ومنادم   جددت ذكر أخ خليل أول
لا كثرة الاحسان تنسى حسرتى   هيهات تذهب علتى بتعلل
لو كنت أعلم ان آخر عهدهم   يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

ويتغنى على الحصرى صاحب ديوان « اقتراح القريح واجتراح الجريح » بحنينه الى مسقط رأسه ، وقد نزح عنها الى الاندلس فالمغرب الاقصى :

ايا سقى الله ارض القيروان حيا   كأنه عبراتى المستهلات
وكف عنها أيادى المفسدين لها   ولا عدتها من الخيرات عادات
فانها لذة الاحباب تربتها   مسكية وحصاها جوهريات
أرض بها الخير مجموع مباركة   لله فيها براهين وآيات
كم من ولى بها لله متقيا   حياته كلها نسك واخبات ؟
وكم امام هدى فى مرتقى ملك   قد توجته المعالى والمهابات ..

أما فى العصر الحديث فنحن لا نستطيع ان نستثنى واحدا من شعرائنا لم يعبر عن حبه للقيروان .

فصالح السويسى القيروانى (ت 1940) يتغنى ملء فيه بنسبته الى المدينة التاريخية الجليلة :

أنا شاعر البلد الذى   حاز العلا والمفخر
وطن به نور الهدى   وبه آثار تذكر
وطن يؤنس خاطرى   وبغيره أتكدر

ويحلو له وصف المعالم التاريخية بها وتروق له خاصة البركة الاغلبية :

عرج لبركة أغلب   كى ما يروق المنظر
وانظر اليها غادة   حسناء اذ ما تسفر
فمياهها الماسها   وكذا الحباب الجوهر

والنبـت فـى جنباتهـا مثـل الزبرجـد أخضـر
هي مـن مـآثـر سـادة اصـلاحهم لا ينكـر

ويتوجه الشاعر الى مخاطبه الذى نصحه بمغادرة القيروان والعيش بتونس العاصمة يقول له معبرا عن حبه لمسقط رأسه وعدم قدرته على فرقته :

يـا آمـرى بفـراقـه أنـا والنبـى لا أقـدر
دعنـى فانـى بالهـوى فى لهيـب نـار مسعـر

اما محمد الفائز القيروانى (ت 1953) فنجده يصـف وادى زرود وصفـا فريدا اذ شغف بجماله ، وولع بنسيمه والخضرة الضافية على ضفتيه :

وطنى « مـزاق » فديتهـا من بلـدة
« بردى » يغار اذا ذكرت « زرودها »

سكـن النسيـم بضفتيـه وغـردت
فيـه الطيـور ورددت تغـريدهـا

حصبـاؤه در وحسبـك أنـهـا
تمشـى الفتـاة به فتلمـس جيدهـا

خلع الربيـع عليه جلبـاب الصبـا
وكساه من ضافى البـرود جديدهـا

فوادى « زرود » يقترن بذكريات طفولته وشبـابه ، حيث كان يتنـزه على ضفتيه فى فصل الربيع وحيث كان يلتقى بحبيبته فيسميه « بوادى الجمال » :

مـرعى الامـانـى وملعـب الاحـلام
والنجوى اللذيذة ان ذكرت عهودهـا

أنسـى ولا أنسـى عشيـة أقبلـت
ليـلى مـن الـدلال بـرودهـا

ومشى النسيـم بعرفهـا فتجـاوبت
فوق الغصون الورق تعزف عودهـا

فعليك يا وادى الجمال تحية

ما ضم صب للفتاة نهودها

أما الشاعر محمد بوشربية (ت 1952) فكنا نحفظ له فى صبانا هذه القصيدة نرددها ونتناسخها ونتغنى بها وهى فى تحميس ناشئة القيروان وبث الوعى فى نفوسهم وزرع الروح القومية فى وجدانهم ، وليس من الغريب ان نجد فيها اسماء تتردد ، وهى اسماء بقيت مرسومة فى اذهان ابناء القيروان ترمز الى تألق بلدتهم الحضارى فى القديم ، والى تأصل هذا الشعب العربى المسلم وتدل خاصة على عزم راسخ للبناء من جديد ، وللحياة الفاضلة المجيدة ، وما انفكت هذه الاسماء شعلة تلهب فى النفوس الحماس الوطنى والحمية القومية • وما عقبة وسحنون وابن رشيق وابن باديس وغيرهم الاعلامات مضيئة فى سماء القيروان تذكر بالماضى الحافل بالامجاد وتحفز الناس على المضى الى الامام ، وعلى حث الخطى قدما صوب تحقيق المنى والآمال !•••

وهذه القصيدة هى :

الى المجد أشبال عقبة انا لنا فى ذرى المجد أسنى البدور
الى بعث سحنون وابن رشيق وعصر ابن باديس خير العصور

* * *

اذا خفقت راية المجد كانت بايماننا فى علا وازدهار
وان ذكر العلم فالعلم فينا عريق وفينا ازدهى وأنار
وان قيل هذه الحضارة قلنا حضارتنا راسخات القرار
جلال تقاصر عنه الجلال وعز هو النور يغشاه نور

* * *

الى رفعة الدين ندعو وفيها تحقق آمال هذى البلاد
نجدد مجدا تداعى ونهدى الى الدين والدين أفضل هاد
سهام تصوب نحو الاعادى وترمى مكاييد أهل العناد
علينا المعول بعد الاله وفينا شقاء لما فى الصدور

* * *

من القيروان انبعثنا سراعا الى المجد والمجد فينا أصيل
نعيد صحائف سحنون تتلى على النشء من بعد عهد طويل
ونرفع لابن رشيق منارا من الادب الحى يهدى السبيل
وما كان عقبة فينا لننسى قواضبه هاتكات الستور

* * *

اليك أيا قيروان مددنا أيادينا فاليك العهود
تفديك ارواحنا فاقبليها جنودا لمجدك تحت البنود
يجاهد فيك شباب كما يحيى بذكراه ذكرى الجدود
فيحيا بتربك مجد تليد ومجد طريف بذاك فخور

ويخصص محمد الحليوي جزءا من كتابه « في الادب التونسي » للقيروان فيتجلى حبه لها « بيضاء ناصعة البياض ، غراء مشرقة الجوانب ، يحيط بها سورها الابلق العتيد كانها الدرة العظيمة تفتحت عن محارتها » (ص 295) .

فيصف القيروان بمآذنها السامقة وقبابها الشاهقة ومئذنتها الكبيرة « كالجبار الجاثم يكلأ المدينة ويلقى على ساكنيها دروسا في الاجلال والخيلاء والعظمة والكبرياء » (ص 295) ويضمن هذا القسم قصائد قالها في القيروان، وهو دائما يعتبر بآثارها ، ويتعظ بمعالمها :

دخلت الجامع الكبير أستنطق الصمت والدهور
بقلبي الواجف الكسير

ويتساءل الشاعر عن العهود الماضية ويستعيد الازمنة الغابرة :

يا دهر أين المعز يسعى في عزة الملك والسرير
والجند صفا بكل درب والطبل والبوق والنفير ؟

ويختم قصيدته محتارا ، قلقا على المستقبل الذى يخبئه الدهر للقيروان وأهاليها ومدينة الاغالبة ترزح آنذاك تحت وطأة الاستعمار وتعاني من نير المستعمرين :

يا دهر هل ترجع الليالي ليالي العز والحبور ؟
هل ينبت الزهر والاقاحي ويبسم الروض والثغور ؟

وكم يلذ للشاعر الحديث عن عقبة مؤسس المدينة وعن بني الاغلب الاماجد وعن سليل الصنهاجيين المعز بن باديس وغيرهم ، فيحن الى عهودهم :

يا حنيني نحو أشياء مضت ورجال ذهبوا في الذاهبين
لا تلوموني على حبيهم ان انا كنت بحبيهم أدين
أترى الدهر الذى روعنا ورمى صبرة بالسهم السنين
أتراه يرجع العز لنا أتراه يبرىء الجرح الثخين؟؟

ويخصص الشاعر جعفر ماجد للقيروان صفحات من ديوانه « نجوم على الطريق » . ونجد عند هذا الشاعر شعور حادا بنسبته الى القيروان واعتزازا واضحا بهذه النسبة وتباهيا بها :

أيـا دار عقبـة والاغلبيـن ومن علموا الحرف حمل المعانى
أنا بـذرة فى ثـراك الخصيـب رضعت بثدييك سحر البيـان
أنا ما قـرأت على هـوميروس ولم اشتر الحبـر من اصفهـان
ولكـن هنـا حفيـت قـدمـاى وذقت من العز مثل الهوان ...

ويختم قصيدته النونية بهذا البيت الـذى يبـدو فيـه امتـزاج الشـاعر بالقيروان ، وتشخصه اياها :

اذا كنت يومـا بنفسى فخـورا ففخـرى يعـود الى القيـروان

وناجى الشاعر جعفر ماجد القيروان بمناسبة نجاحه فى جائزتها الادبيـة فخاطبها قائلا :

حنـوت عليـك حنـو الصبى وبحـت بشـوقى فـلا تعتبـى
أنا قد كفانى اليك انتسـابى ويكفيـك للمجـد ان تنسبـى
ألا انـك الآن ألـوان عينـى فما حيلتى بعـد كـى تقـربى
فلا ابتغى غير هذا التصـابى وحسبى اذا أنت فاخرت بـى

ويتحدث ما جد عن قصته مع القيروان ونشأته فيها :

أنا من هنـا قد رويـت غـراسى وهذا غراسى هنـا اليـوم أثمـر
.. على «عمدة» الشعر كنا اعتمدنا ومـا زال فينـا العمـاد المـؤزر
.. عـلى جنـة القيـروان ائتمنـا وفى زهر آدابهـا نحـن نخطـر
فيـا مجـد رقـادة قـد لبسنـا معـانيـك مثـل الـرداء المحبـر
أيـا عـزة القيـروان استفـزى نفوسـا علت واستعـدت لاكثـر

(انظر القصيدة « فى ظلال القيروان » (ص 31 – 33) من ديوان نجوم على الطريق) .

واذا كان هناك سباق بين الشعراء فى حب القيروان فان أول شاعر يفوز بقصب السبق هو الشاذلى عطاء الله • يشهد بذلك شعراء تتلمذوا عليه • فذات يوم ، باغت هذا الشاعر المثقفين من أهل القيروان بانه سيهاجر المدينة الى تونس فأحس تلامذته بالهلع وتساءلوا بتعجب وانكار عن السبب ! ؟

قال له جعفر ماجد (انظر ص 34 من الديوان) :

أتتركها وتترك ساكنيها   وتنساها وتنسى طيبيها ؟
وأنت عشقتها طفلا وكهلا   وهمت بحبها فى الناس تيها
وشرع الحب تضحية وبذل   ومن ذا لم يكن من عاشقيها ؟
«حنانك هل نسيت» زروداهل   نسيت شبابه الشهم النبيها ؟
وهل جفت بوادينا ضفاف   قديما كان طرفك يجتليها ؟

وتأثر الشاعر محمد مزهود لهذا العزم على مغادرة المدينة فتساءل بحيرة وارتباك فى قصيدة وجهها للشاعر (ص 37 من ديوان ماجد) :

أتتركها لمن هو يحتويها   كانك ما اجتبيت لمجتبيها
أتتركها وقلبك خير قلب   يهيم بحبها ويتيه تيها
•• معاذ الله ان تنأى وتمضى   وتصبح عن قلى من هاجريها
•• سمعنا بالذى تنوى فكدنا   نصك لما سمعناه الوجوها

وتأثر الشاعر الشاذلى عطاء الله لصيحات الفزع هذه التى تلقاها عن شعراء القيروان وتخلى عن قراره فى النزوح عن مدينته واعلن عن قراره الاخير فى قصيدة طويلة تشكو غربة نفسه :

وقد أصبحت فى بلدى غريبا   وان كنت المشار له النبيها

واعلن عن عزمه (ص 44 من ديوان ماجد المذكور) :

•• وانى سوف أبقى ما بقيتم   على حفظ العهود لحافظيها
أقيم بها كما شئتم وأرضى   بما كتب القضاء لعاشقيها ••

وهكذا كان حب القيروان والتعلق بها غرضا من اغراض الشعر التى التزمها شعراء القيروان منذ العهد الاغلبى الى اليوم • وضمنوا اشعارهم ما تعج به نفوسهم نحو مدينتهم من مختلف المشاعر والمعانى السامية النبيلة •

منخفضات الوجع القاسي

شعر بوعلام رزوقة

بزنجية كان يحلو عبورى الى ضفة الدفء . كانت تعلمنى لعبة القط والفأر فوق سطوح العمارات ، كانت تجرعنى لبن الصحو فى لحظة الانطفاء

وتشحذ عشقى فأكتبها قصة تتفجر ماء

وتدخل وجهى المسييج بالحزن من وجهة الفرح الخاص

آه هذه المرأة الخام جد محنكة وهى فى الشبق الضاج ذات اختصاص هو العنب الرازقى لذيذ كفاكهة العرس أو ربما كزبيب الدوالى

فمن يتذوقه يا أصدقائى ؟

ومن يجلس القرفصاء على ذروة الانتشاء ؟

وينسى الطقوس القديمة ، شوقا الى حضن زنجية لا تبالى ؛

★★★

جئت من منخفضات الوجع القاسى وجاء معك الحزن وجاء الوطن الغائب عن عينيك فى عينيك حلما مثل حلمى لا يموت

أترى كنت أناحين انفجرت وبكيت وتسلقت جراحى ؛

فى انتظار : نسمات الانتعاش وتباشير الصباح

كخيوط العنكبوت

تتلاشى هالة الحب القديم

لم يعد فى الارض من يشهر فى وجه الجفاف خنجرا أبيض

ما عاد على الارض فؤاد بالسنى ينبض

الله فقط ظل يرى افريقيا وهى تخب فى اتجاه اليأس والحلم العقيم

***

فى الساحل الغربى من افريقيا ، طفل يجوع يموت ، يرحل دون تأبين

وأنت حبيبتى هاجرت من وكر الجدود الى ربى وطنى مجنحة الحنين
أحببتك زنجية خضراء تحلم بالصباح

وأنت منذ الآن همى ، أنت منذ الآن ماء مشاعرى ، فدعى يدى تتحسس نبع الجراح

دراسات الأعداد القادمة

مراجعة مفاهيم	بقلم : الحبيب المخ
بكم .. وما بهم صمم !	بقلم : عبد السلام المسدى
منور صمادح شاعر الجوع .. والثورة ..	بقلم : أحمد الطويلى
رأى فى القصص الشعبى	بقلم : التهامى نقرة
معركة عين جالوت	بقلم : شريف جيوسى
المنحى الفلسفى فى كتاب الامتاع	بقلم : الهادى المزوغى
تقديم الهيكلية	بقلم : الطاهر محمد

إلى من يظلم أبا حيان التوحيدي

بقلم عبد العزيز الهاني

وبعد فلئن ظفرت شخصية أبى حيان التوحيدى ومؤلفاته ـ بعد طول غبنها ى عصرها ـ باهتمام الدراسات الحديثة والدارسين شرقا وغربا (1) فانها تظل محل اختلاف يصل الى حد التحامل على المؤلف واقتراح حذفه من الشخصيات الادبية المدرجة فى برامج التعليم (2) ·

وتعتمد هذه النظرة حججا متنوعة أهمها أن أبا حيان رمز للاديب البكاء الشكاء الذى لا يورث الدارسين من النشء الا شعورا بالغصة والهزيمة ورثاء لحاله فى ظروف يحتاج فيها الشباب الى معانى القوة والطموح والاندفاع والتمرد ··

أما حجتهم الثانية فهى تورط المؤلف فى علاقات صداقة لرجال السياسة فى عصره وهذا ما جعله يتبنى آراءهم ومواقفهم بصرف النظر عن عدلها أو ظلمها طلبا للجاه والمراتب ، وتقربا للكبراء وتكسبا بأدبه وتسخيرا لمواهبه فى خدمة أغراض الطبقة الحاكمة · فليس جديرا باهتمامنا من وظف مواهبه لخدمة مصالحه الذاتية ورغبات طبقة خاصة ·

(*) هذه خواطر لا تطمح لان تكون دراسة علمية بقدر ما تهدف الى تصحيح الرؤية الى احدى شخصيات التراث ·

(1) نكتفى بذكر ياقوت الحموى من القدامى فى معجم الادباء ج 15 ومن المعاصرين احسان عباس وإبراهيم الكيلانى وزكى مبارك والحوفى وعلى دب مع مقالات متفرقة فى الفكر والحياة الثقافية والنشرة التربوية ··

(2) بلغنى هذا الاتجاه من أحد أعضاء لجنة اصلاح التعليم الثانوى لمادة اللغة والآداب العربية ، وهى المسؤولة على وضع خطة لتدريس المادة ·

وقد يلتمس المتحاملون على أبى حيان حجة ثالثة أدبية وهى تقليده لاسلوب الجاحظ الادبى موضوعات وروحا فلم ينفرد بطريقة متميزة بل ظل المقلد الوفى لامام النثر العربى أبى عثمان الجاحظ مصنفا فيه ـ نتيجة اعجابه بأدبه ـ رسالة فى التقريظ ٠

فما هو نصيب هذه الحجج من الصحة ؟ وهل تدعم مؤلفات التوحيدى ومنعرجات حياته المادية والباطنية هذه المزاعم ؟ أو ما هى الفوائد المرجوة من دراسة أبى حيان وتدريس مؤلفاته الادبية والفكرية ؟

ان الدارس الموضوعى لاحدى مؤلفات التوحيدى المعروفة فى أوساط المثقفين وهو كتاب الامتاع يكتشف ـ اذا برىء من سذاجة الحمقى وبله المغفلين ـ أن أبا حيان وعى عصره وشؤون معاصريه عميق الوعى فدعا الى الاصلاح ورفع المظالم وتصحيح الاحكام محققا بذلك دور المثقف الحق أى الملتزم بقضايا العصر المتبنى لشؤون الكادحين والمظلومين والمعذبين فى الارض نعم ان من يقرأ كتاب « الامتاع والمؤانسة » ـ وهو الاثر الادبى المدرج حاليا فى برامج السنة السابعة آداب بالتعليم الثانوى ـ يلاحظ دون عناء انه استنكر على السلاطين فساد سيرتهم بطريقة غير مباشرة تروى موقف أبى سليمان من كسرى أنو شروان حين ملك وعكف على الصبوح والغبوق (3) ، كما انكر على الوزراء تسلطهم وتحيزهم فقال عن الصاحب بن عباد (4) « والذى غلطه فى نفسه وحمله على الاعجاب برأيه انه لم يجبه قط بتخطئة .. » واستنكر صمت العامة والخاصة ازاء فساد سلوك بعض الكبراء نتيجة انتشار النفاق (5) « وللكبراء وذوى القدرة زلات فاحشة وفعلات موحشة ، ولكن ليس لهم عليها معير للخوف منهم »

كما ابان فى كتاب « مثالب الوزيرين » (6) خطر التواطؤ والصمت عن فساد الاحوال « ونعوذ بالله من جنون موصول بانقياد الامور وطاعة الرجال » معلنا ان الحكم المثالى يتم فى الزمن الخالى من الآفات اى « أن يكون الدين طريا والدولة مقبلة والخصب عاما والعلم مطلوبا ٠٠ » (7)

---

(3) انظر الليلة 17 ج 2 ص 25 من الامتاع
(4) نفس المرجع ل 4 ج 1 ص 58
(5) ل 40 ج 3 / 206
(6) ط ابراهيم الكيلانى دمشق 1961 ص 88
(7) ل 17 ج 2 / 48

ولم يتردد أبو حيان فى المطالبة بالاصلاح وفق هذه النظرة السلفية اى المعتبرة للدين أساس الاخلاق والعلاقات بين الافراد والجماعات بطريقة مباشرة حينا اذ طلب من الوزير ابن سعدان الاعتبار بسيرة الصالحين من السلف والاعتبار بأخلاقهم ومعاملاتهم اذ « ليس فى أبواب السياسة شىء أجدى وأنفع وأنفى للفساد وأقمع من الاعتبار الموقظ للنفس الباعث على أخذ العزم وتجريد العزم ‥ » (8)

وقد ضرب للوزير أمثلة لمن لم ينتصح من الكبراء منهم أبو الفضل العباس بن الحسين ومحمد بن بقية ، وذو الكفايتين ، الذين لم ينتصحوا فساءت عاقبتهم منهيا رسالته بمجموعة من الاوامر لا يصدع بها الا مصلح جرىء ومثقف حق « وآخر ما أقول أيها الوزير : مر بالصدقات فانها مجلبة السلامات ‥ واهجر الشراب ، وأدم النظر فى المصحف وافزع الى الله ‥ ولا تبخل على نفسك برأى غيرك » (9) ․

ولم يظل أبو حيان المثقف الاناني بل تبنى حالة المثقفين المحرومين فى عصره والادباء الفقراء والمتصوفين الادنياء الغرباء طالبا من الوزير مساعدتهم (10) « فلو لحظت هؤلاء كلهم بفضلك وأدنيتهم بسعة ذرعك وأصغيت الى مقالتهم بسمعك وقابلتهم بملء عينيك كان فى ذلك بقاء النعمة عليك وصيت فاش بذكرك ‥ »

كما انه صحيح كثيرا من المفاهيم المنحرفة الرائجة فى عصره والمتعلقة بالتفاضل بين الامم ، وبين المنطق اليونانى والنحو العربى وبين الحساب والبلاغة وبين النظم والنثر ․

على أن أبا حيان لم يخف أمله فى الجدوى بواسطة الكتابة بل اعترف بأنه وظفها احيانا لذكر مناقب الوزير ونشر فضائله تماشيا مع روح العصر ․

ولم يكن أبو حيان المثقف الواعى بمشكلات عصره المطالب بالاصلاح الناقد لسير العامة والخاصة فقط بل مثل بكتاباته الواقع التاريخى والحضارى والدينى والاقتصادى للعصر البويهى بالعراق وصور فساد العصر « الخالى

---

(8) نفس المرجع ص 214
(9) ص 224
(10) ص 212
(11) ص 210

من الديانين الذين يصلحون أنفسهم ويصلحون غيرهم بفضل صلاحهم » (12) حيث انتشرت الزندقة وفشا التعصب الديني وكثرت الفتن الداخلية « وصارت العامة مع جهلها تجد قوة من خاصتها مع علمها فسفكت الدماء واستبيح الحريم ٠٠ » فانهارت القيم الاخلاقية والاجتماعية وسادت الفوضى وعمت الشكوى الادباء وحتى الوزراء ٠ فكم من فاسق تسلق سلم المجتمع ونال رفيع المراتب فى السلطة والقضاء والفكر كالدارکی وابن يوسف وأسود الزبد ، مما جعل التوحيدى يلح على صديقه أبى الوفاء المهندس الذى أهدى رسالة الامتاع فى أن تكون « مصونة عن عيون الحاسدين العيابين بعيدة عن تناول أيدى المفسدين المنافسين فليس كل قائل يسلم ولا كل سامع ينصف » (13)

وفى هذا العصر كان المؤلف شاهدا على ازدهار حركة الفكر والابداع رغم ما يكابده المفكرون غير المحظوظين ـ وهم كثيرون فى كل زمان ـ من تعاسة واضطهاد تكفى حالة ابى سليمان المنطقى ـ أستاذ أبى حيان ـ دليلا عليها ٠ ألم يكن محتاجا الى « رغيف وحوله وقوته قد عجزا عن أجرة مسكنه .. » (14)

ألم يعترف المؤلف بمرارة الحالة حيث لا يصل الاديب الى مستوى الكرامة والاكتفاء المادى « الا ببيع الدين وإخلاق المروءة واراقة ماء الوجه » ؟ وبأنه أمام هذا الوضع « لا بد من فتى يعين على الدهر ويغنى عن كرام الناس فضلا عن لئامهم ؟

ألا نجد فى الامتاع مثلا صورة حية لأحوال الفئات الاجتماعية اقتصاديا وعقائديا وسياسيا ؟ فهنا تضج العامة أمام ارتفاع الاسعار ، وهناك تقوم فتنة العيارين ببغداد وعلى الحدود تغزو الروم بلاد المسلمين ، وفى الداخل لا تلحظ الا التعصب الدينى بين الحنابلة والطبريين « فخرجوا الى التكفير والتفسيق واباحة الدم والمال ورد الشهادة واطلاق اللسان بالجرح والقذع والتهاجر والتقاطع ٠٠ » (15)

---

(12) مقدمة الامتاع ص 16

(13) مقدمة الجزء الثانى من الامتاع

(14) ل 2 ص 31 ـ 15 ـ ل 40

(15) دائرة المعارف الاسلامية بالفرنسية ط جديدة ج 1 / 160 ـ 161

ولم يبق المؤلف مجرد ملاحظ سلبي لاحوال عصره بـل جـادل المتكلميـن والصوفية والكتاب والشعراء والاطباء والواعظين والزهاد ، وناضل من اجـل العامة حين ارتفعت أسعار المعاش وهددها الوزيـر بالتعسـف والاضطهـاد ، وصور حالة الوراقين والمغنين والاعراب وسلوك الظرفـاء واصحـاب النـوادر والسوقيين والكناسين والكساحين السائلين والطفيليين والمكدين والاساكفة والعطارين والجوارى والمخنثين ..

كما رسم عدم الانسجام بين حالة الانهيار الاقتصادى والسياسى والدينـى وبين الازدهار الادبى والفكرى اللذين عرفهما القرن الرابع لعهد البويهيين .

ولم يظل أبو حيان بمعزل عن هذا المناخ بل أسهم فى ارساء هذه الثـورة الثقافية والتجديد الادبى على مستواه الفردى لا علـى صعيـد روح الكتابـة وغرضها فقط بل على صعيد الموضوعات التى عالجها أيضا .

ولئن تبنى التوحيدى نظرية الجاحظ موضوعا للادب اى ان يكـون محـور الكتابة الانسان بمشاكله الاخلاقية والمادية والـروحية ومشاغله الفكـرية ، وغايتها تلقيح الفكر وتهذيب الروح والدعوة الى المعروف ، وأن تكون الطريقة مزجا بين الجد والهزل ـ وهو ما توخاه ابو حيان على مستوى كل ليلـة فـى الامتاع فختمها بملحة الوداع ، حتى انفردت الليلة الثامنة عشرة بالهزل ـ وان تكون الكتابة بريئة من التكلف والتفيهق والحذلقة والتقعر فانه دعـم نظـرية الجاحظ وأضاف اليها عناصر شخصية لا تغادر سائر مؤلفاته تتمثـل فيمـا أسميه **بروح أبى حيان** ذات المميزات الفريدة .

وبعد ألا تنطق آثار أبى حيان وخاصة الامتاع بأنه مصلـح ملتـزم ومثقف حق ، وشاهد واع ومؤرخ لفترة معينة فى العصر البويهى ، وحلقة جديدة فى النثر الفنى ؟ ألم يكن عصره جديرا بمن يرثيه أدبيا وأخلاقيا فقام بتلك الوظيفة وجسم أزمة المجتمع الاسلامى فكانت شكاته شكاة المثقف الحق عبر العصور ، ووقفته وقفة الواعى المدرك المتألم الساخط المرشد المصلح ؟ وهل نطلـب مـن الادباء الحق غير هذه الوظائف ؟

ألا تكفى هذه القيم لتبوىء صاحبنا مكانة الشخصيـة الادبيـة الجديـرة بالدراسة والتدريس فى أقسامنا النهائية للتعليم الثانوى ؟

وفى انتظار ردود من ظلم أباحيان أو تجاهله أو ازدراه نفتـح مـرة أخـرى الحوار حول التراث وقيمته وطريقة انتخاب أمثلة منه والقراءة الجديدة المسايرة لوضع البلاد العربية الراهن فى عصر التكتلات والتحديات . وندعو لهم بمـا دعا أبو حيان معاصرين فى مستهل رسائله وكتبه .

مدينتي...

شعر فتحي الحلاصي

أيتها الحيل التى ان أتت	ستمحى هزائم الامس
مرى على مدينتى انها	قد هدها هذا الدجى المغسى

***

مدينتى من زمن غابر	ما عرفت اطلالة الشمس
فهذه الاسوار من حولها	تغرقها فى ظلمة الرمس
وهذه الابواب موصودة	والحارس الليلى ذو البأس
يرصدنى ... يتبعنى دائما	يرتاب من حسى ومن همسى

***

لكن برغم الحارس الليلى	ورغم ما فى الليل من هول
للزمن الواقف فى الظل	للزمن الهارب من خيلى
أقول ٠ فليصغ الى قولى	« آتية .. آتية خيلى
بالغضب الجارف ٠٠ بالويل	سترفع الحصار من حولى »

***

يتسع الحلم بذهنى أرى	برغم ليل الهم واليأس
مدينتى تهدم أسوارها	وتفتح الابواب للشمس

ديسمبر 1977

تائهون في الأزقة !

قصة عائشة عبد اللطيف

كنت أنا الاخرى فى طور قلق من أطوار حياة الفتاة .. ولكننى كنت أجاهد .. وكنت أنا ايضا أريد أن أغيب عن مسرح الاحزان والدموع ولكننى كنت أتدبر العواقب ولا أستهين بشىء ..

وكنت ترى دوما على وجهى الشرود وفى عينى عدم الرضا .. غير انى لم اشتك يوما بل كان الصمت هو الشىء الوحيد الذى ألف تحته شكواى واحزانى وآمالى وفشلى وبسماتى ودموعى ..

كنت كما وجدتنى .. صخرة جامدة يحكم عليها كل من شاهدها بأنها لا تنفع فى شىء ولا تصلح لشىء ..

أما هى فعيبها الوحيد أنها كانت تستسلم لايام الاسى وكانت تتبرم بالحياة وبكل ما يتعلق بالحياة فى اليوم الذى لا تراه فيه وكأنه أصبح كل شىء فى حياتها ومحور وجودها .. وكنت أرى ذلك فى عينيها وعلى ملامح وجهها وفى نبرات صوتها وفى ثورتها على كل شىء يعترض طريقها .. كانت تقول لى قبل أن تلتقى به : « اراني ضائقة بالوحدة » فأرد عليها بوجه باسم وبحماس بالغ : « لا تيأسى يا حبيبتى .. عما قريب ستلتقين به » فلا يلبث وجهها الاسمر القلق أن يشرق بسرور فاتن .

★ ★ ★

معها هى وحدها لم أكن صخرة ولم أحس فى حضورها ولو مرة واحدة بذلك الاحساس الذى يلجم لسانى ويقبر كلماتى كلما التقى بغيرها من عباد الله .. كانت نسمة حالمة من نسمات الربيع .. بديعة التكوين ..

رائعة السيماء ترى فى وجهها أحلام ليالى الصيف وفى عينيها اخضرار الربوع ٠٠ وعلى كتفيها سكون الليل ٠٠ ليل صاخب لا تهدأ أمواجه ولا تستقر على حال ٠٠ فى صخبه هدوء وفى سواده نعومة وصفاء ٠٠

ولم تكن تؤمن بالمثل الانقليزى القائل : « لم يزل فى البحر من السمك أكثر مما خرج منه » بل كانت تقول دوما : « رسمه فى نفسى أشبه بنقوش الفراعنة » ٠

ولم تكن تنتمى الى أى حزب من الاحزاب بل انها كانت تسخر من هذه الاحزاب التى لا تدعو كما ترى الى غير التناحر ولا تخدم كما علمت غير أغراض ذاتية وان اختلفت طرق عملها ٠٠ وهى تنقم على انسان اليوم ٠٠ لانها لا ترى فيه غير آلة صماء تدور محركاتها بدون وعى منها ٠٠ انسان فاقد الشعور ، بليد الاحساس ٠٠ حيوانى التصرف ٠٠ ولذلك أحبت عصام وتعلقت بعصام وأخلصت لعصام ٠٠ لان عصام كان انسانا ٠٠ يحمل بين جنباته قلبا يحب بصدق ويخفق بصدق ٠٠ ولانه كان يسعد بنعيم الروح قبل أن يفكر فى نعيم الجسد ويؤمن بتلاقح الارواح قبل اختلاط الاجساد ٠٠ ولانه كان يناديها دوما بيا « حلمى الجميل » ولم ينادها مرة بما هو شائع بين الآخرين بيا « عزيزتى » ٠٠ كان فى حديثه شعر ٠٠ وفى نظرته شعر ٠٠ وفى تصرفه شعر ٠٠ كانت نظرته اليها طويلة ٠٠ عميقة ٠٠ تقابلها بنظرة مثلها فاذا به يشرد وتشرد مثله ٠٠ عندما يستفيقان ترتفع حمرة الحياء الى وجهيهما ٠٠ وكانت جلساتهما الدائمة معا سلسلة من النوادى الثقافية يذكران فيها الاشعار والفلسفات وما جد فى عالم الادب والفن وكانت سعادة كل لقاء بينهما تكمن فى أن ترنو اليه ويرنو اليها ٠٠ فى تلك اللحظة يريان الله ويؤمنان بوجود الله ٠٠

أحبت عصام لانه انسان واحببتها لاننى أحببت فيها عقيدتها وروحها وافكارها ٠٠ ولاننى كنت مثلها أعشق دنيا الفن والادب ٠٠ والاحلام الخضراء ٠٠ ولاننى كنت أحس بما تحسه وأفكر بما تفكر وأرى ما ترى وان اختلفت وجهات نظرنا بعض الاختلاف ٠٠ فقد كنت أبدو صلبة وكانت تبدو أرق من زهرة ٠٠ وكنت أشك فى كل شىء ٠٠ وكانت تثق بكل شىء ٠٠

* * *

وفى هذه السنة التى هى من أهم سنوات حياتى ٠٠ بدأت الحوادث تجرى بسرعة مذهلة ٠٠ ولامر شخصى اضطررت الى أن أقابل والدها ٠٠ وهذه

أول مرة أراه فيها لاتحدث اليه ٠٠ كان من رجال الاعمال المشهورين ومن أصحاب الملايين وهو ينتمى الى حزب يحارب الراسمالية وفلسفته فى الحياة هى : « أن تعيش ليومك ولا تفكر فى غدك وانس أمسك » وكان الموقف حرجا بالنسبة لى الا ان الحاجة جعلتنى أعرف كيف أواجهه وانا واثقة من موضع قدمى .. ولقينى لقاء باردا فهو كما اخبرتك لا يهتم بما مضى .. ومثل صحفى حاذق نقل لى خبر انتحار وحيدته وكأن الامر لا يهمه بقدر ما يهمنى ٠٠ وتجمدت نظراتى على الرجل ٠٠ وأظللت من مصيبتى على مصيبة أشد وطأة وأشد لوعة ٠٠ وطفرت دموعى فى صمت ولم أستطع أن أدفع حرقة الاسى ٠٠ وفى تلك اللحظة بدت لى الدنيا كهفا مظلما هائل الجوف حالك السواد ٠٠ وتراءى لى طيفها وهى تواجهنى قائلة : « لا تأسفى على ٠٠ فقد اخترت المصير الذى أرضانى وأراحنى من دنياكم ٠٠ »

وغالبت اضطرابى حتى أسأله عن أصل المصيبة ٠٠ فلقد بدا لى أنه من أن يحاول اخفاءه ٠٠ فلقد اعتقدت من انه متحرر زيادة عن اللزوم ٠٠ وقال وملامحه لا تعبر عن شيء محدود : « كانت تعتقد فى خرافة الحب » قلت له وأنا أحاول أن أبدو ساذجة أمامه لا أفهم شيئا :

– « وهل أصبح الحب خرافة يا سيدى ؟؟

– بل هو نوع من المخدرات الخطيرة . أفيون أفلت متعاطوه من قبضة العدالة والقانون .

– قلت فى ذهول وكأننى أحادث نفسى : « لاجل هذا انتحرت ؟؟

– قال : ولانها – كما تعلمين – تكتب الشعر وتقرأ القصة وتشاهد الافلام وتصادق صعلوكا من صعاليك الافكار الموتورة والاحلام الضائعة والايدى الفارغة ٠٠ واحد من هؤلاء الذين يبحثون عن خيوط الامل الاخضر وسط الضباب الاسود ٠٠ يصرخون ويزعقون ولا يخلقون غير الاوهام ٠٠ ورصيدهم فى البنك الوهم وأسهمهم فى الاسواق الاحلام ٠٠ »

وأحسست بموجة من الالم تعصر كيانى ٠٠ وقلت له وأنا أحدق فى وجهه وخواطر كثيرة تجتاح أفكارى :

أهكذا تنظر الى رجال الادب والفكر ؟ أمن هذه الزاوية ترى الشعر والقصة والافلام ٠٠ ألا ترى فيهم الضوء الاخضر الذى يضيء حياتنا وينير لنا الدرب ؟؟

رد على وهو مغتاظ : « أنت لا تفهميننى ٠٠ كلكن هكذا ٠٠ بل كلكم هكذا! معشر الادباء والشعراء ٠٠ تائهون فى أزقة المدينة تريدون أن نسجد على أقدامنا ارضاء لغروركم ٠٠ لقد سئمت رجل الفكر ٠٠ سئمت الفقر ٠٠ وسئمت الفلسفة وسئمت الصراخ ٠٠ لقد كنت أنتمى فى يوم ما الى حزبكم٠٠ أزعق مثلكم وألهث مثلما تلهثون ٠٠ حياتى وهم وآمالى سراب ٠٠ وثروتى كل ثروتى ٠٠ أوراق ومجلدات وقلم ٠٠ تهت مثلكم حقبة من عمرى أضعتها وأنا أخدم الاخرين ٠٠ وأسعى لاسعاد الاخرين ٠٠ انثر فى طريقهم الورود وأسأل السماء لهم الغيث ٠٠ فسمونى مجنونا ٠٠ واعرضوا عنى ٠٠ لانى أردت أن أنير لهم الدرب ـ كما تقولين ـ وأهديهم الى الله ٠٠ واليوم وقد أعرضت عنهم ٠٠ واصبحت أعاملهم معاملة السيد لعبيده ٠٠ استغل ثرواتهم وازرع الشوك فى طريقهم ٠٠ قالوا اننى من بين الاسياد الذين يحق لهم احترامهم وتقديرهم ٠٠ بل اصبحوا يلتمسون رضائى كل لحظة وآونة ٠٠ ويمطروننى قبلات وأدعية ٠٠

لقد كانت هى الاخرى مثلك .. تؤمن بما تؤمنين وبما كنت أؤمن قبل ان أنتشل نفسى من هوة الضياع لاصبح رجل اعمال ناجح .. نصحتها بان تصحو وبان تفكر بعين العقل ٠٠ قلت لها : القى بكل ما عشش فى مخك فى زاوية النسيان وفكرى بما تفكر به الفتاة المعاصرة ٠٠ الفتاة الواعية لكل ما يدور حولها ٠٠ الفتاة التى تحاول ان تكون فى كل ما تعمل وتفكر مخلصة للواقع وفية له ٠٠

وصمت ٠٠ وما كان على الا ان أحترم لحظات صمته وانتظر ٠٠ بعد ان أقنعت نفسى بانه لا يمكن لى أن أرحل قبل أن أعرف ما يجول فى خاطر هذا الرجل وعلى أى شيء أقيم أسس بناء فكره بعد ان ودع عالم التائهين فى الازقة كما يقول ـ سألته أستوضحه ما خفى عن ذهنى : ٠٠

« وفى أى شيء أردتها أن تفكر يا سيدى ؟؟ رد على وقد لمعت عيناه وتهدج صوته :

قلت لها وكم مرة قلت لها : « القى عنك بهذا المخدر ٠٠ مخدر الشعر والقصص ٠٠ القى به لمن هم فى أشد الحاجة اليه ٠٠ لأولئك البؤساء الذين ينشدون نسيان واقعهم المرير ٠٠ أتركيه لمن كتب عليهم الحرمان من خيرات الدنيا أولئك الذين لم تمدهم الارض بغير الخيبة والبؤس والاحزان ٠٠ أتركى

دنيا الخيال لمن لا دنيا لهم .. وتعالى الى دنيانا .. الى الدنيا التى لا تفكر فى السماء ولا تؤمن بالخرافات ٠٠ الى الدنيا التى تجعلك تشعرين بكل لحظه من حياتك .. شىء واحد يجب أن تفعليه هو ان تطهرى أفكارك مما علق بها من صحبة اليائسين وملازمة التائهين ٠٠ وفكرى ٠٠ لا بذلك الصعلوك المهذار بل بالرجل الآخر .. وبالمليون دينار .. وبالسيارة الامريكية السوداء وبكوم الياقوت والزمرد .. وبالشهرة المتباعدة .. نصحتها بأن تفكر بحياة القصور لان تكون سيدة ٠٠ سيدة كاملة ٠٠ يسيرها عقل قوى ٠٠ لا تطأ أرضه عاطفة بل رغبة وارادة ٠٠ يجب أن تريد والا تحب وفرق بين « أريد » و« أحب » وهو فرق يشبه الفرق بين الارض والسماء ٠٠

وبدا عليه شىء من التوتر ٠٠ فرأيت أن أغادر المكان ولم أقض حاجتى ٠٠ بل اننى نسيت ما جئت لاجله ٠٠ وخرجت وقد احتدمت المعركة فى رأسى واشتد الصراع وأنا أكاد أختنق ٠٠

فلنـــــــفق ..

شعر كمال العربي

في الليالى ...
في ليالينا التى لا يرتجى منها انتهاء
هام فى فكرى سؤال ... كالخيال
ثم بان ...
حيرة تغتال أيامى ..
شقــاء !...
« نحن من نحن ؟! » سؤالك ...
يا صديقى ، وسؤالى
ونديم قد رماه العصر فينا
بل بلاء ..
قرننا العشرون يا صاح
به الانسان بالى ..
جيلنا جيل حيارى ،
جيلنا جيل السؤال ،
جيل عنف ،
جيل خوف ،
جيلنا جيل جدير بالبكاء !

***

نحن جيل هاجنا الشوق الى لحظة راحه
دأبنا الخوف ...
وفينا .. أغمد العنف رماحه
كلنا جند محارب
كلنا تعبان
خوف الموت هارب
كلنا يحمل آلام جراحه ...

***

نحن جند الارتزاق الأشقياء

(*) جاءت رفقة هذه القصيدة كلمة قال فيها هذا الشاعر الناشيء الطالب بالمدرسة القومية للادارة : « اعجبت كثيرا بمقال الاستاذ محمد مزالى : العرب والعلم والرقى الحق (الفكر السنة 22 العدد 1) وقد أوحى لى هذا المقال بقصيد أتمنى أن أراه منشورا فى مجلتكم » .

بعضنا يغتال بعضا
نتعاطى الحرب قوتا
نتعاطى القتل والاجرام لهوا
ننتشى إن ما قلقنا ... بالدماء .
نحن جيل قد تبناه الشقاء
وتخطاه على الدرب القضاء
قد مللنا كل شيء فى الوجود
ويئسنا
فاتجهنا للخمور والحشائش
واخترعنا كل أنواع البغاء
علنا نلقى ـ اذا ما هزنـا السكـر ـ شفاء ..
وانتحرنـا
دون أن نلقى باغمانا
دواء ...
ذاك أنا يا صديقى
يا رفيقى فى الجهاد
قد فقدنا الراحة الكبرى ...
تجاهلنا السماء .

***

جيلنا جيل عناد
جيل صناع الوجود !!
جيل علم !!
جيل خلق !!
جيلنا يرنو الى كل جديد
ويرى فيه مثالا .

***

جيلنا جيل الوعيد
جيل أحزاب اليمين واليسار
والـوسط !!
جيل أقوام النصارى واليهود
جيل روم وقبط !!

***

ما اتفقنا أبدا كى نستريح
مع أو ضد الأله ...
وبقينا نشتكى فى ظلمنا
ظلم الحياه
ووضعنا ضد من قد خلق الكون الحداد
ورمينا بالجهاله
كل من رام اعتقاد
فانتبه يا صاح من هذا الهراء
أن تدانيك رياحه
لا تعـانـد
ولنجاهد !...
جيلنا جيل عناد
دخل البحر جهولا للملاحة
فاختفت عنه الطريق كى يعود
وتولاه القلق
فاحترق
فانتبه يا صاح هيا !.. ولنفق !
جيلنا جيل ضلال

***

جيل جهل ...
بصراحه !

نحن جيل فى بحار الجهل نحيا
قد علمنا ذرة من بعض شيء
قد علمنا !!
واكتشفنا !!
واخترعنا !!
فانتشينا بخطانا
وكفرنا بالذى صان خطانا
ثم قلنا :
« نحن أبناء الأتوم !
نحن أرباب العلوم ! »
ونسينـا ...
بل تناسينا الاله
وتحدينـاه ...
أن نعلو الى فلك سماه
أن نطيل العمر ساعات
وأن نسقى الحياه
ونسينـا
أننا مهما علمنا ...
جـاهلون
وتجاهلنا بأنا
رغم كل ما اخترعنا ...
عـاجزون .
فانتبه يا صاح من هذا الهراء
فالمصير واحد
رغم الذى قلنا
فنـاء
ورجوع للسماء

★★★

نحن جيل ، لا مقام ، لا ديار
هزنا ريح كسوح
فى دوار اللا مدار
فى بحار اللا قرار
نحتسى الحيرة والآلام من دون انتظار
يحتسينا الزمن الغادر ...
ذياك القطار
يأكل الأيام من دون اجترار
فانتبه يا صاح من هذا الدوار
وتعال
فأنا أرنو اليك فى لهيب الانتظار
لك قد أهديت فنى
فائتمنى .. وتعال ..
نزرع الآمال فى جيل ذوى فيه التمنى
ولنمزقه ـ الستار ـ
ولنحطم جهلنا
هذا الجدار .
انتهى فى التانى
وبصدرى جف ينبوع اصطبار
فالام الانتصار ؟!
والام الانتظار
قم ! اعننى !...

★★★

من ليالى الحزن والارهاق والحيرة ...
يا صاح أتيت ..
عن بحار الجهل والنكران والظلم ...
أخيرا قد نأيت ...

هالنا يا صاح ما قد بان لى فيها ...
وما كنت عصيت ..
فشكرت الله عرفانا له اذ قد هدانى ...
وبكيت ..
واليك جئت يا صاح ...
بنصحى ورجائى قد سعيت ..
أرتجى منك ثبوتا وانتصاحا ...
فانتبـه !!
قرننا العشرون يا صاح ضباب ...
فانتبـه !!
خذ يدى !... لا تتراجع ...
ولنفـق
ولنناد بالطوارىء ...

بالنضـال
بالجهـاد
ولنناد الصحب والاخوان في هذا الوجود
« أن أفيقوا ...
طهروا أفكاركم ... فيها العفن
طهروا أنفسكم ... منها الفتن
ولنجاهد يا صديقى !..
ولنجـاهد ...
بالدمـاء .
بالسـلاح .
بالهـراء .
بالقصـائد
ولنجـاهد !..

قصـائـد الأعـداد القـادمـة

حديث عن زمن الحب والرحيل	شعر : أحمد مختار الهادى
العطش الدائم .. ولا زال !	شعر: الصادق شرف (أبو وجدان)
أنشودة فى عرس الدم	شعر : حلمى الزواتى
جناحا لا مشى .. وقدما لا طير ..	شعر : فتحى القاسمى
قصيدة شكر .. لمدير « الفكر »	شعر : محمد ساسى
تقاسيم الى امرأة منجمية	كتابة : بلقاسم برهومى

غربة ... ويا طول الطريق!

قصة : سامي حمام

منذ الصباح وهو جالس في هذا الركن من المقهى يلفه الصمت ، يعانقه الفراغ ، العيون تتطلع الى وجهه الاصفر الجامد ، الى عينيه الغائرتين ، الى البريق الغريب الذي يشع منهما ، العيون تتساءل عن سر هذا التغيير المفاجىء الذي طرأ عليه ، تلح في السؤال ، السر يبقى غامضا ، وهو ساكت والشمس معلقة في الفضاء والريح تلاحق اللاشيء .

الطريق ينزلق تحت قدمي ، يتقلص ، يمتد ، يصبح طويلا موغلا في الطول ، ينزل ، يصعد ، يلتصق بالسماء ، يصبح نقطة سوداء ، فراغا ، زرقة ، أحاول أن أرى نهايته ، ليست له نهاية ، نهايته متصلة ببدايته ، لكل شيء نهاية ، لكن أأصل الى نهايته اليوم ، بعد ساعة ربما بعد شهر او شهرين ، ربما بعد أعوام ، لا أعرف بالضبط مدة السير على هذا الطريق الذى ينزلق تحت قدمى ، يتقلص يمتد ، يصبح طويلا ، طويلا ، موغلا في الطول ، وهل تعرف أنت ؟ وانتم هل تعرفون ؟ ما لكم تنظرون الى هكذا . تسألنى عن المسافة التى قطعتها ، لا أعرفها ، لا اريد أن أعرفها ، لست فى حاجة الى الالتفات الى الوراء لمعرفتها ، الالتفات الى الوراء نقمة ، زفرات تحسر على ما فات ، لوعة ، فرح ، حزن ، قهقهات ، عبرات ، كؤوس تشرب ، صلوات ترتل ، انظر دائما الى الامام حيث لا تلتصق السماء بالطريق ، لا أريد الالتفات الى جهة أخرى ، نسيت اليوم الذى بدأت فيه السير على هذه الطريق التى تنزلق تحت قدمى ، تمتد ، تصبح طويلة ، طويلة ، موغلة فى الطول . أحاديث الرواد

الجالسين او الواقفين حول المشرب تصل الى سمعه بدون معـان ، قهقهـاتهم بدون صدى ، هبت عليه نسمة من هواء رطب ، مسحت على قسمـات وجهـه فأفاق من ذهوله كأن يدا ناعمة أتته من حيث لا يدرى ولكنها انتعاشة انتحرت على هذا الغلاف السميك الذى يحيط به ، يضغط عليه ، على كيانـه ، علـى رأسه ، يحاول أن يقاوم ، أن يفعل شيئا ، أن يتحرك ، أن يقتل ، أن يكسر شيئا ، ولكن جمرة الحياة قد انطفأت فتراخت عضلاته وسرى الهمـود فـى أوصاله ، دقات الساعة المنتظمة الحادة مطارق تنزل على رأسه بألم حـاد ٠ تساءلت شفتاه : لماذا اخترع الانسان الساعة ؟

علمت أن أمى فرحت كثيرا فى ذلك اليوم ، زغردت ، ضحكت كثيرا ، فرح الجيران يوم بدأت السير على قدمى الصغيرتين اللينتين ، لكن بعد أيام انقلب ضحك أمى الى بكاء ، زغرداتها الى شهيق ، وفرحة الجيران الى حزن عميق ارتسم على وجوههم الصفراء القبيحة الوسخة رجلاى الصغيرتان تشققتا وسال الدم منهما أودية ، أرادوا ان يمنعونى من السير فرفضت ٠٠

نظرات الناس تتكسر على الغلاف السميك ، السيارات تجرى لاهثة فوق الطريق الذى يئن من شدة الحرارة ، العرق يتصبب على جباه المارة ، امـرأة عجوز تطلب الرحمة ولا رحمة ، لا ينظر اليها أحد ، نظرت الى السماء فلم تر شيئا والطفل الصغير يصيح بين أحضانها يريد لبنا ، اشعل سجارة جذب منها نفسا طويلا ثم أخذ ورقة ليكتب رسالة الى صديق بعيد : صديقى يجب على أن أعيش المأسـاة حتى نهايتهـا ، يجب على أن لا أنزعـج مـن المصـائب إذ المصائب والمآسى فى هذا العالم وهذا الوجود الاحمق لا تنتهى ، ان منبع شقائى ذاتى ومصدر اتعابى نفسى ولذلك سوف لن انتظر العون من الخـارج لانى غريب . غريب فى هذا العالم ، غريب عن هذا الحى ، غريب عن نفسى ، فعندما تشرق الشمس اعرف انى سأعيش حياة جديدة وعندما تغرب أعرف أنى سأبدأ حياة أخرى جديدة .

أنظر الى رجلى ، مازال الدم يسيل على الطريق ، انظر حولى ، المشاهـد متشابهة ، كثبان من الرمل انتشرت هنا وهناك ، المشاهد غارقـة فى صمـت رهيب موحش ، لاشىء يدل على أن هناك حياة الا الريح التـى تهـب هبـات متقطعة فيثور الغبار حاملا معه بعض العيدان الصغيرة ، دقات رجلى المنتظمة الخافتة يحملها الهواء بعيدا ، أرهف أذنى لسماعها ، انها تشدنى الـى هـذه

الطريق التى تنزلق تحت قدمى ، تتقلص، تمتد، تصبح طويلة، طويلة، موغلة فى الطول ، انصت اليها ثانية ، اصبحت خافتة لا تكاد تسمع ، كادت أن تتلاشى ، لقد تعبت ، العرق ينزل منى غزيرا ، الشمس الحارة تحرق الرمل والطريق وخطواتى قصيرة ذات صدى لا يكاد يسمع ، هذا الصدى أصبح قطعة منى ٠

لم يستطع ان يكتب اكثر، التصقت ملابسه بجسمه، طوى الورقة ونهض، حاول ان يستحضر تلك اللمسة فلم يستطع ، حركة النادل لم تفتر والريح تلاحق اللاشىء ونظرات الناس تنتحر على الغلاف السميك الذى يحيط به والشمس معلقة فى الفضاء والليل لم يسدل ستائره بعد ٠

قال الاول : مسكين ٠ حياته أصبحت بلا طعم ولا رائحة يعيش هائما على وجهه فى المدينة بدون هوية !

قال الثانى : ان سبب هذا التغيير والقلق هو فشله المتواصل فى عمله ٠

هز الثالث كتفيه ٠

الريح تحمل الى أنفى رائحة العرق النتنة ، أتنفس ملء رئتى ، يجب أن أستريح حتى اجتاز المسافة الباقية ، حتى اصل الى نهاية الطريق الطويلة ، لكنى سأفقد وقع خطواتى ٠٠ لا ٠٠ سأواصل السير ٠٠ لا يمكن أن أعيش بدونها ، أشعر برغبة ملحة فى الكلام ٠٠ ليس هناك من سيسمعنى ٠٠ انظر أمامى ، بجانبى ، ليس هناك أحد ، كل واحد يسير فى طريقه الخاصة .. أعيد النظر أمامى .. الى النقطة السوداء ، الى الفراغ ، تنزل دمعة على خدى ، تلحقها دمعة أخرى ٠٠

نادية .. ومشانق العالم ..

شعر : رضا بن رخيص

« أجيال وقوافل
أمم وممالك
أهلكها الطوفان

واحدة بعد الاخرى . ترتفع الايدى فى وجه الطغيان .
لكن سيوف السلطان ·
تقطعها · واحدة بعد الاخرى · فى كل مكان ·
فلماذا . يا ابنى . لم ترفع يدك السمحاء ؟ »

(قمر شيراز – ص 32 – 33 – 34)

« عبد الوهاب البياتى »

لماذا · عندما ينضب الزيت فى قناديلى ·
وتنطفى فى الدرب المعوج فوانيسى .
ويجتاحنى جيش الظلام ·
وذبان الخريف ··· والعدوى ···
ويرهقنى القلق · والحرمان ···
ويتعالى أنينى ···
أناديك :
ناديا !

نــاديـــا !

نــاديـــا !؟؟؟

أناديك من أعماق الكهوف الأفلاطونية ··· (I)

من غياهب السجون الفرنكونية ··· (2)
من أقاصى الصحارى الظمأى
من فوهة البراكين المخنوقة ···

أنــاديـك ···

نــاديـــا !··

نــاديـــا !··

نــاديـــا !··

أناديك بصوتى الذى عاد ·
عاد – حبيبتى – من جزر المنفى ··· هو عاد !
عاد · وقد تصلبت بعد الشرايين · تصلبت ···
صارت أوتاد !
والتهب الدماغ ··· صرخ !
والظهر على صليب العذاب · سمروه ···
آه · سمروه !
زنازنة هارون ··· والأمين ··· والمأمون ···
ومطارق هتلر ···
هتلر ··· وموسيلينى ··· وفرنكو ···
وسيدى الباى ···
والخلفاء ··· وأشباه الخلفاء ···
وأنصاف الخلفاء ···
وأذنــاب الخلفاء ···

(I) إشارة الى أسطورة الكهف « لأفلاطون »
(2) نسبة الى فرنكو ·

وأنت يا حجاج (3) . يا القائم على المنجنيق ...
والمتـــــد عـــلى المنجنيق ...
والشارب من عصيـر المنجنيق ...
بالمنجنيق . سمرت ظهرى ...
وعلى حصون المدينة الناعسة علقتنى ...
ويوم فارقت ثديى أمى .
علمت أنى تركت فمى غارقا فى بقايا الحليب ...
وأن النور قد ذبح فى أعينى منذ بداية الطريق ...
وأن الصمم فى آذانى عريق ...
وصاح الجلاد - يا حبيبتى - فى أبواق كنائس «نيرون» (4)
وفى أبواق مجازر السفاح (5)
ومنابر جعفر (6)

صاح على مشانق النهار ...
صم ... بكم ... عمى !!! أتفقهون ؟!
« يا أشباه الرجال . ولا الرجال .
أجسام رجال .. وعقول ربات الحجال ! » (7)
صاح - حبيبتى - فهرب الحمام ...
وانتحرت الشحارير ... ومات الصداح ...
ولكن الشموع الذابلة التى امتصها الليل ...
الشموع اللاحسة لحلم العاهرات ...
القابعة فى البوالات ...

---

(3) الحجاج بن يوسف .
(4) « NERON » ملك جبار فى « الأنتيكتى » الرومانية - حرق روما .
(5) أبو العباس السفاح .
(6) أبو جعفر المنصور .
(7) على بن أبى طالب .

والمتناحرة فى المنعرجات ...

هللت ... ورفعت أرجلها الحافية الى السماء ...

صفـر ...

عجـاف ...

حفـاة ...

عـراة ...

شدوا الرحال الى المحاريب ــ الأفيون ...

كنت ــ حبيبتى ــ فى ركابهم . قزما أضحك بجنون ...

قزما ... كنت أجر ركبتى وقدمى المجروحتين ...

على المسالك المفروشة بجثث أبناء عمى ...

وأدمغة إخوانى الأحرار ...

الذين بصقوا فى وجه التتار ...

فاجتثهم ــ آه يا ناديا ــ الاعصار ...

وعند الفجر . قادوهم خارج الأسوار .

ليكونوا ــ كفى كل الامصار ــ حطب النار ...

النار التى بدأت تلسعنى ...

بدأت تقضم أهدابى ...

النار التى حرقت الخبز عوض أن تنضجه ...

النار التى « بخرت » الماء عوض أن تدفئه ...

النار العاهرة ... يا ناديا !

النار الوبال ...

النار التى أكلت بالامس ، عند المثاء ، رأس أبى ...

وشربت اليوم ، عند الصباح ، نخاع أخى ...

وغدا ... عندما يطل لسانى مع الشمس على الامام .

سوف تعلق النار جمجمتى على باب المدينة .

وبالدم سوف تكتب اسمى على كل الحيطان ...

ولكني ، سوف أناديك رغم النار ، و « التزار » (8)
نـاديـــا !٠٠
نـاديـــا !٠٠
نـاديـــا !٠٠
ومغازات بلادي العطشى ٠٠٠
وأراضينا النائمة الظمآى ٠٠٠
وعيون الجرحى ٠٠٠
وأرواح الموتى ٠٠٠
سوف ترجع أصداء صوتي المنهار :
نـا ٠٠ د ٠٠ يـا ٠٠ يـا ٠٠ يـا ٠٠ يـا ٠٠

* * *

قزما ٠٠٠ كنت مع القافلة ٠٠٠
وفي مخلاتي كان لي خبز أسود يابس ...
وفي جعبتي رماح صدئة مقطوعة ٠٠٠
وسمعت همسك الخافت عند أحد الكثبان ٠٠٠
ورأيت نهديك من وراء القضبان ٠٠٠
ورأيت جسمك ، في الضباب ، يتلوى كالحرباء ٠
رأيته ٠٠٠ تتسرب اليه سموم العالم ٠٠٠
وتصاعد أنينك من تحت الانقاض المهجورة ٠٠٠
فصرخت ٠٠٠ وناديتك ٠ ناديتك :
نـاديـــا !!!
نـاديـــا !!!
نـاديـــا !!!
وبعثرت الرياح ، وغبار خيول الحجاج ٠

(8) TZAR ، قيصر روسيا قبل الثورة البولشيفية ٠

صـوتى ٠٠٠
واغرقنى طوفان السياط والآهات ...
ولكننى ناديتك دائما ٠٠٠ وأناديك ٠٠٠
أبدا ، صوتى لا يعرف الاعياء ٠٠٠
أبدا ، لا أخشى أنياب « دراكيلا » ٠٠٠
أنـاديـك ٠
من قلب القافلة التائهة ٠٠٠
من بطن المخلاة الفارغة ...
من وراء بحار العرق الفائضة ٠٠٠
أنـاديـك :

نـاديـا !!!
نـاديـا !
نـاديـا !

تعالى يا ناديا !٠٠
تعالى ، نصنع الزيت ٠٠٠

ونشعل القناديل ٠٠٠ والفوانيس ٠٠٠
تعالى ، نحمل المعول والفأس ٠٠٠
ونهدم المنابر والمحاريب ٠٠٠
ونكسر الصلبان
ونطرد الرهبان
ونكفـر !

نكفر بعيسى ، وبموسى ٠٠٠ وبالباى ٠٠٠
ونفعل الحب بلا أغلال ...
فيزهر الورد فى أحشاء الضعفاء ٠٠٠
ويشرق الربيع فى أعماق الفقراء ٠٠٠
ويسقط السحاب ، وزارعو السواد ٠٠٠

ويقتات الجياع بلحم هارون ...
وبلحم البايات ...
وبلحم خزندار وبن عياد (9)
يقتـاتون !!!
بالحب ، بالشوق ، بالحنين ، يقتاتون ...
وبطونا خاوية منذ قرون ... يملؤون ...
أبناء قافلة العبيد ...
الناشدة الطعام فى بخار المساجد والزوايا ...
الباحثة عن الماء فى الهشم والقفر ...

* * *

رأيتهم ـ حبيبتى ـ عند طلوع الشمس .
رأيتهم ... جيشا عرمرما يزلزل الجبال .
رأيتهم مدججين بالسلاح ...
قلوبهم لهيب ...
عيونهم دخان ...
رأيتهم يؤمون مناطق « العربان » ...
يمزقون الخيام ... رأيتهم ...
ويطعنون الاطفال ...
ويهتكون الحريم ...
رأيتهم يفتكون الجباية ... يفتكون ...
بسيف الباى ...
وبنادق خزندار ...
ثم رأيت ـ حبيبتى ـ بعدئذ غبارا ...

(9) الوزير مصطفى خزنـدار + محمود بن عيـاد ـــ من أعوان خزندار فى سلب أموال الشعب التونسى أثناء حكم البايـات ، هـرب بالكثيـر من الملايين الى فرنسا ، حيث تجنس بالجنسية الفرنسية .

وقالوا فى المجالس إن على (I0) قد ثار ...
على ثار ... ثار يا ناديا ...
دقت طبول على فى « ماجر » و « الفراشيش » و « ونيفة » (II)
وارتعش الباى ...
وارتعش خزندار ...
وانكب كأس « الوسكى » على وجهه .
غشى عليه ...
ورأيتك تدنين من شفاهى العطشى ، يا ناديا ...
رأيت الشموع تتقد أكثر ...
رأيت الضباب يتبدد ...
ورأيت وجـ ... هـ ... ك ... لا !!!
انفض الثوار بعصا خزندار ...
واختبأ على ـ كحلم زائف ـ عند الجار ... (I2)
ورأيتك تتحولين الى سراب ... سراب ...
فصحت ، والدم يتدفق من فمى :
نـاديـا ...
نـاديـا ...
نـاديـا ... يـا ... يـا ...

مـارس 1977

(I0) على بن غذاهم .
(II) عروش تواجد فيها العربان أثناء حكم البايات لتونس .
(I2) راجع ثورة على بن غذاهم 1864 .

مشكلة المضمون في الرواية المغربية

بقلم : إدريس الناقوري
(المغرب الاقصى)

١) إذا أردنا أن نبحث الموضوع المحدد فى العنوان أعلاه بجدية موضوعية ، ينبغى أن نعمد أولا الى تحديد الاسس الفكرية والمبادىء النظرية العامة لمضمون الادب . ان قضية المضمون من المسائل التى يكثر حولها الجدل وتثار باستمرار كلما تعلق الامر بدراسة وتحليل الاعمال الفنية ، وعلى الرغم من أهميتها لم تصبح بعد مادة استقصاء خاص فى أدبنا الحديث ولم تكرس لها الدراسات الحديثة المستقلة ما خلا استثناءات قليلة جداً مع العلم انها كانت قوام نقدنا القديم ٠ اما المعالجات التى تناولتها فكثيرا ما تنطلق من نظريات شكلية وصيغ جوفاء توحى بوجود انفصام بين الشكل والمضمون وبأسبقية الاول على الثانى حين توعز بما يمكن أن يفهم منه أن العمل الادبى ينقسم الى قسمين وأنه لا يمكن بالتالى دراسة المضمون الا عن طريق الاعتراف أولا بوجود الاثر الادبى كشكل قائم مفصول عن محتواه خاصة وأن الشكل هو الذى يلوح أمامنا كلما فكرنا فى الرواية مثلا أو القصة القصيرة ٠٠٠ والحق أن الطرح الصائب للقضية لا يكون بهذا الفهم المغلوط الذى يضع حاجزا رفيعا بين أجزاء العمل الفنى ٠ فكما أنه لا يجوز عمليا الفصل بين الابرة والخيط أثناء عملية الحياطة كذلك لا يجوز عزل الشكل عن المضمون فى النتاج الادبى الا بطريقة نظرية تجريدية متعسفة ٠

ولان الطرح السليم لهذه القضية لا يتحقق الا بالنظرة الشمولية والتفكير الجدلى الذى يعتبر العمل الادبى وحدة مترابطة الاجزاء متكاملة العناصر فى الوقت الذى يربطه بكلية عامة هى الظاهرة الاجتماعية أو الواقع الموضوعى

فمن الضرورى وضع الاطار النظرى الواضح لهذه المشكلة التى تعتبر كغيرها من قضايا الابداع الفنى مجالا خصبا وفسيحا يحتد فيه الصراع بوضوح بين المادية والمثالية .

2) المفاهيم الاولى للمضمون :

ترتبط بمفهوم المضمون عدة مفاهيم ومقولات أخرى لا بد من فهمها بدقة واستخدامها بكيفية ملائمة تجنبنا البلبلة والتشوش وتبعدنا عن الغموض والعشوائية • من هذه المصطلحات مثلا المنهج الفكرى والابداعى ، العقيدة ، الاسلوب ، الشكل • يبدو للوهلة الاولى أن هناك تقاربا بين هذه المفاهيم يكاد يبلغ درجة التطابق بالنسبة للمنهج الفكرى والاسلوب والمضمون خاصة • والحق أن لكل واحد من هذه المصطلحات دلالته الخاصة ومفهومه الواضح المحدد وذلك بسبب وجود فوارق دقيقة تفصل بينها وتميز كل مصطلح عن الآخر من حيث الدلالة والاستعمال المنهجى • فاذا أمكن أن نفهم المنهج الابداعى والفكرى على أنه تصور الكاتب عن المضمون الفكرى لعمله الادبى باعتباره الطريقة التى تلخص مجمل المبادىء الاساسية للاختيار الفنى ، لتقييم وتعميم ظواهر الواقع ، لانه يعبر عن البرنامج الجمالى للفنان وعن رؤية للترابط بين الفن والواقع ، فان العقيدة تقترب من معنى المنهج الفكرى وان كانت أكثر منه اتساعا وعمومية • أما مفهوم الاسلوب فهو ينفرد بالتعبير عن الجانب الذاتى فى العمل الادبى ويلتصق بشخصية الفنان ، لان الاسلوب كما هو معروف هو الكاتب ، هو مواصفات ابداعه (1) •

توجد بالطبع عدة تفسيرات أخرى تعتبر الاسلوب مجموعة التصورات الشكلية ومجمل الطرق التقنية التى يلجأ اليها الكاتب فى عمله • غير انها تفسيرات مثالية وخاطئة لان الاسلوب بأى معنى أخذ لا يمكن أن يعنى غير المضمون والمنهج الفكرى ولان للاهمية الكبرى للاسلوب وللمنهج الابداعى تكمن فى المضمون •

ومضمون الادب هو ادراك الكاتب للحقيقة الموضوعية التى لا تدخل فى الرواية ، فى الاقصوصة •• كحقيقة معكوسة خارجة عن نطاق العمل الادبى عديمة الصلة به ، وانما تدخل فيه كحقيقة عاكسة موجودة داخلة كشكل ذاتى للعالم الموضوعى الخارجى • وهذا معناه أن مضمون الادب لا يتحدد كحقيقة

---

(1) الواقعية الاشتراكية : المنهج والاسلوب ى• غروموف (دار ابن خلدون)•

وانما كرؤية لها ما دامت الحقيقة الموضوعية هى ادراك الفنان المحدد لظواهر الواقع وتقييمه لها بوصفه ممثلا طبقيا لاحدى القوى الاجتماعية « فالموقع الطبقي والاجتماعي يحدد الاتجاه الرئيسي فى التفكير الفنى ويكون المنهج والاسلوب الابداعى » (2) · وطبيعة التفكير تتحدد كما هو معلوم عن طريق الوعى الاجتماعى الذى ينعكس فى وعى الذات ليرتدى اشكالا متنوعة جدا للتعبير وذلك على أساس الموضوعية العلمية القائلة :

« ان الوجود الاجتماعى والوعى الاجتماعى تماما كالوجود والوعى بشكل عام ليسا متطابقين » (3) ·

ان مضمون العمل الادبى هو اذن الانعكاس الواعى للحقيقة الموضوعية وفى هذا تكمن كل الجوانب المتعلقة بالاصالة والتفرد · لان الخصوصية الجمالية هى قبل كل شيء خصوصية الوعى الابداعى وليست الاصالة كما يقول هيجل سوى :

« القدرة على التفكير بشكل مستقل ورؤية المضمون المميز وغير المتكرر فى أية ظاهرة حياتية » (4) · وعلى هذا فالمنهج الابداعى نتاج علاقات اجتماعية تتحدد فعاليته بالمعطيات الموضوعية للواقع والتاريخ ، للزمان والمكان ·

هذا التحديد للمضمون هو أكثر التعريفات قبولا ولا يسبب تناقضات مبدئية عند الاتفاق على ما هو المجال الفعلى للحقيقة لتكون موضوعا للانعكاس فى الفن · فالمضمون فى الرواية مثلا هو دائما شكل ادراك الواقع الخارجى لان صورة الفن أو شكله الفنى هى دائما صورة المضمون · وبامكاننا أن نصل الى العمل الادبى من زاويتين :

من وجهة نظر مضمونه أولا على أساس أن العمل الادبى نظرة عامة أيديولوجية للحياة « رؤية للعالم » كما يقول لوكاش ومن وجهة شكله الخاص المتميز ·

ان تفسير المضمون بهذه الطريقة يعنى أن كل مضمون لاى عمل فنى كان يتضمن بالضرورة مكونين أساسيين هما الفهم الواضح لظواهر الحياة

---

(2) المرجع السابق ، ص 30 ·
(3) فى الفن والادب ـ لينين ـ الطبعة العربية ـ دمشق 1972 ، ص 18 ، ج 1 ·
(4) الواقعية الاشتراكية ، ص 15 ·

وتقييمها · والفهم والتقييم مرتبطان جدليا ويعبران معا عن موقف فكرى واجتماعى (طبقى) وفنى ·

لهذا فنحن لا نستطيع ثباتا أن نتصور المضمون مفصولا عن الشكل · صحيح ان مسألة الشكل والمضمون كانت دائما موضع خلاف الا انها اليوم من الوضوح بحيث لم يعد فيها مجال للتردد والاضطراب وخاصة منذ أن كشف هيجل والمادية الجدلية بعده عن ضعف وخطل النظرية الشكلية التى ابتدعها كانت وغيره من المفكرين المثاليين · هاجم هيجل نظرية (كانت) الشكلية التى لا ترى عناصر الجمال الا فى الشكل وتلقى بالمضمون خارج نطاق الجمال ، وجاهر باتحاد الشكل والمضمون معبرا « ان الفن هو عرض خارجي للادراك أو هو تعبير عن (الفكرة) حيث تعنى بموضوع غير متعلق بها ·· مؤكدا أن الفن تجسيد الفكرة ، وعلى قدر سلامة ذلك التجسيد يكتسب العمل الفنى جماله » (5) ·

لم ينكر الفيلسوف الالمانى (هيجل) العلاقة الجدلية بين المضمون والشكل ، ولا المحتوى الموضوعى والتاريخى للفن ولكن رأيه هذا بقى مع ذلك منسجما تمام الانسجام مع نظريته المتعلقة بتطور الفكرة عبر التاريخ التى كرس فيها تقسيمه الثلاثى المشهور للفن · وعندما ميز (هيجل) بين المراحل الثلاث لتطور « الفكرة » مرحلة الفن والدين والفلسفة لاحظ أن الفن يمثل شكلا ناقصا من أشكال المعرفة ·

أما الرواية فقد عرفها قائلا انها الملحمة البرجوازية العصرية وربط بينها وبين تعدد المصالح والاوضاع فى مجتمع متبدل التنظيم يتعارض فيه الواقع وأمنيات الروح (6) ·

3 ـ الرواية المغربية :

لن أتحدث فى هذا البحث عن الرواية بصفة عامة بل عن نوع محدد منها وبين تعدد المصالح والاوضاع فى مجتمع مبتذل التنظيم يتعارض فيه الواقع

---

(5) الفن والادب فى ضوء الواقعية ، ص 14 ·

(6) نفس المرجع ، ص 18 ·

المغربية ، دون أن يعني اقتصاري على هذا النموذج من الادب العربي الاستغناء عن التطرق الى جوانب تتعلق بفن الرواية ، لان الرواية المغربية هي قبل كل شيء جزء من هذا التراث الحضاري وامتداد وتطوير له من بعض الوجوه • ومع ذلك لا ينبغي أن نسقط في وهم هذا التعميم • فالرواية هي بالتحديد وحسب تعريف هيجل ملحمة البورجوازية العصرية • واعتقد آن هذه الموضوعية تصدق على الرواية المغربية وعلى الرواية العربية والغربية على حد سواء •

ليس م نشأن هذا البحث تفصيل القول في عوامل نشوء وتطور الرواية المغربية وانما يهمه بالدرجة الاولى الاشارة الى أن هذا النوع الادبي حديث العهد في بلادنا وهو لا يزال في طور التكوين والتبلور لانه ــ كما كان عليه الامر في بلدان عربية أخرى ــ ظهر متأخرا وكان ثمرة من ثمرات احتكاكنا بالحضارة المغربية ونتيجة من نتائج انفتاحنا على الادب العالمي عن طريق اللغة والفكر الاستعماريين ثم عن طريق اللغة العربية واتصالنا الاخير بالشرق العربي وتراثه الادبي • فالادب المغربي الحديث حاصل صراع حاد بين ثقافتين وطنية واستعمارية ، الاولى تقليدية محافظة ارتبطت بالماضي وحافظت على التراث ولم تطور الا بعد الاستقلال ، والثانية مرنة ومتقدمة امتازت بقابلياتها المتعددة وتكيفها مع متطلبات العلم والعقل ولذلك استطاعت أن تفرض وصايتها على الثقافة الوطنية خاصة عندما تشبع بها مثقفو البرجوازية الذين ارتبطوا بالاستعمار وحافظوا على مصالح المتروبول بتعبير فرانزفانون •

يمكن القول بأن اللقاء الذي ظهر منذ البداية في صورة صراع بين الثقافتين تم مع بداية الحماية في مستهل هذا القرن عندما بدأ النضال السياسي المسلم ضد المستعمر يوازيه ويدعمه نضال فكري ضد الثقافة الغازية والايديولوجية الدخيلة • غير أن المواجهة الفكرية للمستعمر لم تتبلور بكيفية حادة وعنيفة الا ابان ظهور واشتداد الحركة الوطنية المغربية 1925 ــ 1956 وهي حركة تحريرية مهدت لها السلفية والمذاهب القومية التي انتشرت في المغرب بفضل شخصيات فكرية مرموقة مثل شيخ الاسلام العربي العلوي ، بوشعيب الدكالي • وبواسطة هاته الشخصيات أصبحت السلفية والقومية تشكلان القواعد التاريخية والاسس الايديولوجية للحركة الوطنية المغربية ، وفي العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ظهرت أجيال أخرى من مثقفي الطبقة الوسطى تخرجوا من جامعة القرويين ومن المدارس الفرنسية

المزدوجة وهؤلاء هم الذين تحملوا مسؤولية تنظيم وقيادة وتوجيه الحركة الوطنية فى صراعها ضد المستعمر ٠

وابتداء من منتصف الاربعينات برزت البورجوازية الكبيرة كقوة اجتماعية غنية أهلتها ظروفها الخاصة للاستفادة من المعطيات الموضوعية والامكانيات المادية والتجارية واستطاعت بفضل مركزها المادى أن تساهم فى الحركة الوطنية وتؤثر على توجيهها ٠٠ وكسبت الى جانبها مجموعة من المثقفين من الذين انخرطوا فى الحركة وعملوا على تحقيق طموحاتهم الفردية بواسطها ٠

هكذا أثمر اللقاء المفروض مع الغرب وحضارته نتائجه الايجابية والسلبية فى الخمسينات والستينات وظهرت الرواية المغربية لتعبر عن وعى وطنى بورجوازى بأوضاع بلادنا الاجتماعية والتاريخية والفكرية كتبتها مجموعة أسماء تنتمى فى معظمها الى الطبقة الوسطى وتعبر اما باسم هذه الطبقة واما باسم البرجوازية الوطنية الكبيرة وهى الطبقة التى ارتبط بها بعض هؤلاء المثقفين وأصبحوا اليوم يمثلونها ويدافعون عن مواقفها ومنظوراتها فى كتاباتهم الادبية والفكرية ٠

ان واقع التجزئة والازدواجية المترتب عن عهد الحماية جعل الادب المغربى الحديث ينقسم الى قسمين : قسم مكتوب بالفرنسية وآخر بالعربية ٠ ومن الملاحظ أن القسم الاول ازدهر فى عهد الحماية وغداة الاستقلال وهو الآن آخذ فى التقلص والانحسار . اما القسم المعبر بالعربية فهو لم يتم الا فى مرحلة الاستقلال وهما معا لا يزالان يتعايشان فى نوع من المنافسة الحرة خاصة بعد الانعطافة التى حدثت فى الادب المغربى المكتوب بالفرنسية فى الستينات وجعلته يلتقى فى نقاط كثيرة مع الادب المعبر بالعربية ويتحد معه فى الرؤية والمضمون من أجل تكوين ثقافة وطنية أصيلة وتقدمية ٠

يذكر باحث مغربى معاصر (7) أن أول انتاج روائى كتب بالمغرب هو رواية « ادريس » كتبها مؤلفها بالفرنسية وتناول فيها الوضع الاقتصادى والسياسى فى البلاد ٠ وبعد رواية لعمائمى محمد هذه توالت الاعمال النثرية المعبرة بالفرنسية فكتب أحمد الصفريوى (صندوق العجائب) سنة 1954 م

(7) أحمد اليابورى فى محاضرة ألقاها بكلية الآداب فرع فاس يوم 1968/2/8 م ٠

صور فيها طفولته وضمنها لوحات فنية عن الحياة المغربية اذ ذاك بما فيهـا من ماض وتقاليد وعادات. ثم ألف ادريس الشرايبى وهو مهندس كيماوى وصحفى وكاتب مجموعة روايات منها : الماضى البسيط ، التيوس ، الحمار .

ثم ظهرت فى الستينات روايات مغربية أخرى منها ـ أكادير ـ لخير الدين محمد ، والعين والليل ـ للعبى عبد اللطيف ، (الذاكرة الموشومة) لعبد الكبير الخطيبى ، (هرودة) للطاهر بن جلون .. الخ .

أما الروايات المكتوبة بالعربية فقد طفرت منذ مشمل الخمسينـات وكانت اسبقها رواية ـ فى الطفولة كتبها عبد المجيد بن جلون فى نهاية الاربعينات . وتتابعت بعدها مجموعة نماذج لكتاب آخـرين فى الستينـات والسبعينـات وعددها المنشور حتى الآن يتجاوز عشرين رواية عدا ما هو جاهز للطبع منذ سنوات ولا ينتظر سوى الفرصة المواتية للظهور مثل : (الافعـى والبحـر) لزفزاف ، (أيها الضياع) لمحمود السرغينى ، (القيـد) لمبـارك الدريبى ، (الغد والغضب) لخناثة بنونة .

4 ـ الرواية والواقع : علاقة التبادل :

لم يكن الهدف من هذا الاستطراد اعطاء فكرة عن نشأة الرواية المغربية ، بفرعيها فحسب بل أيضا تأكيد حقيقة كبرى سبقت الاشارة اليهـا الا وهى ارتباط الرواية بالواقع الاجتماعى بتحولاته التاريخية والفكـرية . ان هـذه العـلاقـة ذات أهميـة قصـوى ويهمنـى أن أقـف عندهـا ، فهـى ظـاهرة لا تثير صعوبة كبيرة ولا تحتمل جدلا كثيرا وتكاد تكون القنـاعة المشتـركة بين كثير ان لم تكن اغلب كتاب الرواية ونقادها على اختلاف مشاربهم الفكرية وانتماءاتهم الاجتماعية . يعترف بها كتاب للـرواية البورجوازيون ونقـادها الغربيون وينوهون بها كما يلح عليها النقاد الاشتراكيون ويتخذونها منطلقا لتنظيماتهم وتحليلاتهم .

يقول هنرى جيمس بعد أن يذكر تعريفه المشهور للرواية بأنهـا انطبـاع شخصى مباشر للحياة « ان المبرر الوحيد لوجود الـرواية هو أنهـا تحـاول بالفعل تصوير الحياة . وعندما ترفض هذه المحـاولة ـ نفس المحـاولة التى نراها على لوحة المصور فانها تكون قد وصلت الى حالة غريبة » .

ويرى جوزيف كونراد تلميذ هـ. جيمس وخليفته الطبيعى «أن أى عمل يتطلع بأى درجة من التواضع الى الوصول الى مرتبة الفن يجب أن يحمل ما يبرر ذلك فى

كل سطر من السطور أما الفن ذاته فيمكن تعريفه بانه محاولة خالصة النية لايفاء العالم المرئى حقه الى أقصى حد وذلك عن طريق الكشف عن الحقيقة الواحدة المتعددة الجوانب والقائمة خلف كل ناحية من نواحيه انه محاولة للعثور فى اشكال هذا العالم وفى ألوانه ، فى ضوئه وفى ظلاله ، فى مظاهر المادة وفى حقائق الحياة على كل ما هو أساسى ، كل ما هو باق وجوهرى فى كل منها ، على الصفة الوحيدة المضيئة المقنعة ، على حقيقة وجودها بالذات » ٠ ويؤكد كل من فرجينا وولف و د٠ ه٠ لورانس وبيريسى لبوك و ا٠ م٠ فورستر هذه العلاقة بصيغ أخرى متفاوتة جاعلين من الرواية قطعة من الحياة أو الحياة ذاتها ٠

وحين ربط هيجل الرواية بالطبقة البورجوازية الحديثة كان يفكر بالضبط فى المجتمع البورجوازى القائم على الاستغلال والتفاوت الطبقى وهذا ما برهن عليه لوكاش فى تحليلاته حول نظرية الرواية ودراساته للرواية الواقعية والتاريخية ٠

واذا ما تتبعنا آراء وتعليقات مختلف كتاب ونقاد الرواية فى هذا الفن الادبى بالذات نستطيع أن نستخلص منها ثلاثة مبادىء هامة هى : الحرية ـ الجدية ـ الواقعية ، تفيدنا الى جانب المفاهيم المذكورة المتعلقة بالمضمون فى فهم وتحليل كل نص روائى ٠

فمبدأ الحرية معناه أن الروائى حر فى اختياره لمواضيع عمله وفى تصويره للواقع بالطريقة التى تروقه دون الزام أو اكراه ٠ وعلى هذا فالحرية هى المقياس الذى ينبغى أن يعتمد عليه الدارس فى محاكمته للكتاب ، بحجة أن الحرية اختيار وموقف ٠ والجدية هى الصفة الاولى التى تجعل الباحث يهتم بالعمل الروائى والادبى عموما ، واذا ما انتفت فقدت الرواية قيمتها وأهميتها فى عين القارىء لانها اذ ذاك لا تختلف فى شىء عن الخرافة أو الحكاية الفجة٠ يقول ه٠ جيمس : « يجب على الرواية أن تأخذ ذاتها مأخذ الجد ليأخذها الجمهور مأخذ الجد » ٠

والواقعية تعنى فيما تعنيه الاقتراب من الشعب والتعبير عن مطامحه وتطلعاته وقيمه الاصلية ٠ وهى التى تعطى للرواية خصوصيتها ومضمونها الحيوى ٠ لانها المقياس الاول لفنية الرواية :

« ان علاقة الرواية بالواقع حصرا هى التى تؤلف خصوصيتها ، وهذا نوع أساسى من التمايز ويبدو أنه يفصل الرواية عن معظم الانواع التقليدية ، عن

المأساة والملهاة والشعر « البطولى والرعوى » (8) ان الحرية بمعنى اختيار الموقف الفنى والايديولوجى ، والجدية بمعنى التعبير عن حقائق وأحداث تستحق الاهتمام وتثير فضول الملتقى ، والواقعية التى تعنى عكس حقائق الواقع الموضوعى هى المبادىء التى يقوم عليها فن الرواية الذى يتميز حسب ما يظهر بالشمول والموضوعية • على أن موضوعية هذا اللون الادبى لا تدل على خلوه من الذاتية والموضوعية تنعكسان فى الرواية — وفى كل عمل فنى — بطريقة جدلية رائعة ومعقدة •

فالرواية هى « مشكل الرجولة الناضجة » كما يقول لوكاش وشكلها الخارجى هو أساسا بيوغرافى • انها « شكل المغامرة التى تلائم قيمة الداخل الخاصة والمضمون هو تاريخ هذه النفس التى تذهب فى العالم لكى تتعلم كيف تعرف نفسها وتبحث عن المغامرات لكى تختبر نفسها فيها ، وبواسطة هذا الاختبار تعطى بعدها وتكشف جوهرها الحقيقى » (9) •

يمكننى القول ان ما نستطيع أن نصطلح على تسميته براوية فى الادب المغربى المعاصر تنطبق عليه القولة السالفة (تمام الانطباق) ابتداء من الطفولة الى (زمن بين الولادة والحلم) ومن رواية (زينب) الى آخر رواية جديدة •

5 — قضايا المضمون ونماذجه فى الرواية المغربية :

ان ارتباط الرواية المغربية بذاتية كاتبها لم يحل دون تعبيرها عن واقع موضوعى وبالتالى فهى لا تنهض على تاريخ الفرد وانما تجلى تاريخ الواقع الذى ينعكس فى ذات الكاتب لاننا نلمح عبرها على حداثتها وقلة نماذجها مدى التطور التاريخى والفكرى الذى نشأ خلال حوالى أربعة عقود ، وهى فترة كافية لاظهار ذلك الفرق بين (فى الطفولة) والنماذج التى ظهرت فى السبعينات : (المرأة والوردة) ، (زمن بين الولادة والحلم) وغيرهما •

فعبد المجيد بن جلون يرصد فى سيرته الذاتية ، فترة من حياته كما عاشها ببلدة منشستر بانجلترا وفترة اخرى قضاها فى مدينة فاس • وكانت هذه مناسبة اليه لعقد مقارنة بين مظاهر الحياة الحضارية فى أوروبا ممثلة فى

---

(8) مقالة فى النقد • غراهام هو • ترجمة محيى الدين صبحى ، ص 136 •

(9) نظرية الرواية — ج• لوكاش (بالفرنسية) •

انجلترا ومظاهر الانحطاط والتخلف التى تطبع الحياة الاجتماعية فى وطنه ٠ ولمله كان يسعى من وراء هذه المقارنة الى تقديم النموذج الحضارى الذى اختاره ليتحدى به مواطنيه فى سلوكاتهم واخلاقهم ومعاملاتهم الاجتماعية والسياسية ، وكل الامثلة التى ضربتها فى روايته عن الجو الذى يسود أسرة آل بترنوس وفى الشارع وحتى مظاهر العلاقات السياسية : حكايته عن جورج الخامس ص 63 ، 68 لم تكن اعتباطا لانها جاءت توكيدا لهدف الرواية الفكرى ٠

على أن (فى الطفولة) ليست سوى رواية تحكى مغامرة صاحبها فى الحياة منذ أن خرج الى العالم وذهب محمولا الى اوربا فى أعقاب الحرب الاولى ٠ وما يلى ذلك من تنشئة وتردد بين انجلترا والمغرب ، وفى هذه السيرة الذاتية كانت السخرية التى تحدث عنها (لوكاش) الاداة الهامة التى اكتشف بها المؤلف الرابطة التى تجمع بين عالم متدهور منحط وبين رغبة الكاتب فى تجاوزواقعه عن طريق تقديم بديل غربى يعد راسبا من رواسب الطفولة . وقد نرى فيها كذلك بداية يقظة الوعى البورجوازى من خلال اتصاله بالغرب أثناء فترة الحماية التى تحكمت فيها علاقات انتاج رأسمالية عملت البورجوازية التجارية فى المغرب كل ما فى امكانها لاستثمارها واستغلالها لفائدة نموها وتطورها الخاص ٠

ولا شك أن العلاقة مع المغرب والتساؤلات المختلفة التى طرحت حول نتائج مثل هذه العلاقة وحول مدى ما يمكن أن تحققه من تقدم بالنسبة لبلد متخلف حديث العهد بتجربة التسيير الذاتى هى نفس القضايا التى عالجتها روايات غربية أخرى تعتبر ترجمة ذاتية لاصحابها بقدر ما هى تعبير عن حقائق موضوعية لانها سواء عبرت عن فترة تاريخية ماضية أو طرحت قضايا اجتماعية وسياسية معينة تعكس موقفا ايديولوجيا يتدعم فيه العام والخاص .

من الصعب تصنيف هذه الروايات تصنيفا دقيقا يلخص مضامينها الفكرية ويعبر فى نفس الوقت عن أساليبها وطرق أدائها الفنية لاختلاف المواضيع التى تناولتها هذه الاعمال ولتفاوت درجات الوعى فيها :

هناك روايات تحصر نفسها فى فترة تاريخية محددة وتعالج قضايا مرتبطة بتاريخ الحركة الوطنية وبالتحولات الناتجة عن الكفاح الوطنى وظروف

الحرب الكونية الثانية ومشاكل الاستقلال وهى : الغربة ــ دفنا الماضى ــ جيل الظمأ ، وهناك مجموعة أخرى تتصدى للواقع الاجتماعى الراهن مباشرة مثل الطيبون ، المرأة والوردة ، زمن بين الحلم والولادة ، أما اكسير الحياة و « المعلم على » فقد انفردنا بشرح آرائهما فى موضوعين خاصين .

هذا فضلا عن اختلاف الاهتمامات الفكرية والممارسات الادبية والسياسية لكتابها فما الذى يستطيع أن يجمع بين مفكر ومؤرخ وبين فيلسوف ومؤرخ ارتضى الشخصانية الواقعية مذهبا وعقيدة • وما القاسم المشترك بين كاتب وصحفى كرس حياته للعمل السياسى والكتابة فى أثناء الحركة الوطنية وفى عهد الاستقلال وبين استاذ جامعى احترف التدريس منذ شبابه • وكيف يلتقى شابان يختلفان فى المزاج وفى اسلوب الكتابة وربما فى ممارسة الحياة•

اذا كانت الرواية تجمع بين هؤلاء جميعا من حيث الشكل على الاقل فهناك عدة عوامل تفرق بينهم وفى مقدمتها العامل الذاتى ، وما العامل الذاتى فى مفهومه العلمى المحدد الا الوضع الايديولوجى والطبقى .

اننا نفترض وفق التحليل السابق لأسس المضمون ، وبناء على المبادىء الثلاثة المذكورة ــ الحرية ــ الجدية ــ الواقعية • أن هذه الروايات ترتبط من حيث المضمون بواقعها الاجتماعى والتاريخى بعلاقة واضحة لا غبار عليها سواء أكان ذلك بوعى من أصحابها أو بغير وعى منهم ، غير أن هذه الروايات ليست مجرد تعبير عن واقع موضوعى ، انها تعكس ايضا ايديولوجية كل روائى ووضعه الاجتماعى واهتماماته الطبقية لان الجانب الموضوعى فى مضمونها يحتوى فى نفس الوقت على الجانب الذاتى •

هذا الجانب الاخير يجب ان يؤخذ دوما بعين الاعتبار أثناء التحليل فنحن لا نجرد تعريف المضمون من جانبه الموضوعى ولا ننفى عنه الحقيقة الموضوعية عندما نقول أن القصد الفكرى للكاتب وأفكاره التى تعبر عن عقيدته الطبقية هى مضمون انتاجه الفنى لان الواقع الخارجى يجد انعكاسه الصادق وأفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا ولان ادراك الكاتب والانسان عموما يعطى حقيقة موضوعية ويعبر عنها فالمضمون الموضوعى فوجهات نظر الروائى ولافكاره لا يأتى من خارج اطار الوعى بالواقع الخارجى بل يؤكد وجود الموضوعى فى الذات نفسه • فمهما اعتبرنا هذه الروايات فهما ايديولوجيا للواقع فانها

تحمل بدرجة أو بأخرى بذور الحقيقة الموضوعية وتعبر عنها · انهـا أفكـار هؤلاء الروائيين ومشاعرهم ونظراتهم الجمالية مصاغة في شكل فني قائم على التنظيم والبناء ، أي اسلوب التعبير عن المضمون · وهي بالتالي تؤكد وحدة الموضوع والذات وتعكس فهم هؤلاء الكتاب للواقع الموضـوعي وتبـرز من ثم تقييمهم له وموقفهم منه · ومع ذلك فهذه الروايات لا تعكس لنا الواقع المغربي أو بعضا منه أو مراحله التاريخية في كل ارتباطاتها وأساسها وغناها الذي لا ينفذ · وانما تعكسه من وجهة نظر الكاتب وبحسب انتمائه المادي وقناعته الفكرية · فالماضي الذي صوره غلاب في روايته ليس هو الماضي الحقيقي ولكنه ماضي الحركة الوطنية وماضي أسرة الحاج محمد كما فهمه وبينه غلاب وكذلك الواقع التاريخي في (الغربة) · ومشكلة المثقفين لم تطرح في (جيل الفناء) بالكيفية التي قرأناها في هذه الرواية الا لان الحبابي أراد كـذلك . فهـؤلاء جميعا عندما يعبرون عن فهم لواقعهم الاجتماعي ويعكسونه في أعمالهم انمـا ينطلقون من موقف تقييمي للظواهر الاجتماعية تتحكم فيه مصلحـة الطبقـة والافداد ، وقد كان النظر الى كل ظاهرة من ظواهر الحيـاة الاجتماعية تبعـا لصلتها بالمصلحة الطبقية مبدأ عاما لكل تقييم اجتماعي يعكسه الفن ·

وعلى ذلك فالحرية التي نتحدث عنها في الرواية ليست حرية مطلقـة غير محددة انها حرية اختيار يتحكم فيه الموقف الطبقي والفكري للكاتب الروائي ويمكن أن نقول الشيء ذاته عن الجدية والواقعية · وكل واحد من الروائيين المغاربة عندما يعرض علينا مصائر ابطاله ويصور لنا الظروف الاجتماعية التي تحكمت في حياة وتوجيه مصائر شخصياته يعطينا في نفس الـوقت تقييمـا محددا لكافة الجوانب الحياتية في عملـه الفني انطلاقـا من موقف ابطـاله · ويكشف من ثم عن مجموعة المقاييس التي يرتكز عليها في تقييمه . وتقييمـه شأنه شأن كل تقييم يعبر عن توافق الظواهر المقيمة مـع مصلحة الشخصية الاجتماعية للبطل الذي تصلح اهتماماته ومطالبه البشرية ورغباته ···

ويسترسل الكاتب في دراسته في حـل مشكلـة المضمـون في الـرواية المغربية ـ ويتحدث عن مؤلفين مغاربة وعن آثارهم الروائية وهـو حـديث عن واقع المسرح المغربي استقاه الكاتب من خلال الكتب العديدة التي مارس فيهـا أصحابها عملا روائيا ناجحا ناهضا (*) .

(*) لضيق المجال لم يتسن لنا نشر بقية البحث فمعذرة على ذلك .

إشراقة أنت ، والكون ظلام

شعر : حبيب العوادي

عيناك درتان فى غياهب الأكوان
ونورك الوضاء يجتلي من أفق ذاك الامس عبر صرخة المظالم
ومصرع الانسان

مجاهل الظلام فى غياهب الزمان
وأنت ذاك الفجر تخفق الزهور فيه بالوئام والحنان ،
بظل يشرق — الدهور — فى مدامعى ،
ويرقص الاشجان فى مسامعى ،
وينثر النجوم فى الدروب والقفار ،
أسير والاشواك تدمى أعينى ،
تنتابنى وتزرع الاحزان فى خواطرى
فتشرب الدماء والدموع ،
وتنثنى على الجراح منى رعشة المسافر المخذول ؛
أمد فى الحياة يا معانقى يدى
فلا أرى سواك فى عوالمى تهيم
كزهرة نبعت فى فؤادى الاليم
وأنت ذاك البحر يدفع العباب ، يغلق الاشواق
ويرقص السفائن المسافره
فتهزج الطيور وتشرق الاقدار ،
تطول يا حبيبتى مسالك البحار ،
لكنها ستنتهى وينقضى الرحيل والابحار ،
فتبسم النجوم ،
وتورق الكروم ،
وتولد الزهور فى مزارع المزار

تونس ١٥ / 4 / 77

قصيـــدة التشـــفي ...

شعر : محمد الشابي

لو أنا أستطيع ... كنت قتلتـك وذبحت الأشواق .. ثم ذبحتـك
وكما يضرب العبيـد ... بسيف من سيوف السلطان كنت ضربتك
وجرحت الوجه الطفولى ، والطبع الرقيق الـذى عليـه عرفتـك ..

من من الجنيات قد سحـرتنى ... فـأرتنـى إيـاك حتـى عشقتـك
فاذا بى أحببت من غير علمـى ، والى آخـر المطـاف ، تبعتـك
واذا بـى أعطيـت شيئـا كثيـرا من وجودى ، لكننى مـا طلبتـك
وتـوغلت فـى الغـرابة .. حتـى صرت أرجو لو أننى قد قتلتـك
فلعلى أكـون من بعـد هـذا قـد أرحت القلب الوفى ... وأرحتـك

لا تظنى بأننى صرت مجنونـا .. ولا تحسببـى بـأنـى كـرهتـك
أنا ما زلـت واعيـا ، وأراك ... بوضوح تـام .. اذا مـا رأيتـك
كيـف لى أن أنسى ، وإنـى حتى في نصوص الشعر القديم..وجدتك
وعـلى واجهـات كـل المحـلات التى تبيـع الحلى .. قـد لمحتـك

كم تمنيت أن أكـرر هذا القتـل حتـى يقـال عنـى : قتلتـك

العِلمُ الذي نُريد...

شعر محمد الأعرج

أيها العيد نحن فى يومك الأعـ ـظم نزهى وأنت ذو السلطان
قدرة أنت فى الحياة اذا ما سخروها لقوة الانسان
هى فى السلم جنة ونعيم وهى فى الحرب رقصة الشيطان
وهى تلك الحقول خضراء تسبى حين تبدو كلوحة الفنان
روضتها مع العقول أياد فى ثبات وعزمة وتفان

* * *

أمنا الارض ما تزال تنادى وهى مم تلقاه منا تعانى
أنظروا بطنى المثقل بالخيرات تغرى فذا الزمان زمانى
وانثروا الحب إن أردتم رخاء وبقاء بهذه الأوطان
وأعدوا الجرار يخرج خبثى ويدوى بصوته الرنان
ليهز التراب هزا عنيفا مستجيبا لمطمح الانسان
ولتذروا السماد ينعش ساحى فبذاك السماد تغنى المغانى
فأنا ما رميت بالعقم يوما أو تخليت عن حبيب دعانى
أو تجاهلت عاملين ذوى حـ ـزم لهم بعد فتحت أحضانى
أهملونى فعضهم أى فقر وأصيبوا بأكبر الحرمان
ذاك شأن الحياة من جد فيها وجد المبتغى وذلك شأنى

* * *

إنما نهضة الشعوب تراءى   فى مشيد من شامخ البنيان
وبتطوير كل شىء قديم   وبوعى العقول والاذهان
واندفاع الى الامام وبعث   للقوى الكامنات فى الانسان
وبفتح الاقفال عن كل قلب   غلفته غشاوة الأدران

* * *

هو ذا العلم أيها القوم نادى   ها أنا الخير هذه البانى
فانهلوا من مناهلى ولتعبوا   ولتكونوا كأمة (اليابان)
ها أنا العز فى المصانع يروى   ها أنا المجد مبهر من يرانى
ها أنا الروض أثقلته ثمار   ها أنا الحقل جنيه اليوم دان
ها أنا البحر مغدق كل خير   ها أنا الفلك فامسكوا بعنانى
ها أنا الصاعقات فى الجو ترمى   بجحيم من الحميم الآن
ها أنا الزاحفات أزرع خيرا   ها أنا الدارعات أمحو المبانى
ها أنا الماحقات أفنى البرايا   ها أنا السلم مرسل الحانى
ما أنا رائد الحياة ومنشى   كل شىء بهذه الاكوان
ليس شأو كمثل شأوى ولا سلـ   ـطان يبدو أعز من سلطانى
ها أنا صانع الشعوب وبانيـ   ـها على ثابت من الاركان

* * *

هو ذا العلم منعة ورقى   وسلاح لكن له حدان
وربيع من التباريج بكر   وجنان أعظم به من جنان
وعبير يضمخ الجو عطرا   وشهى من القطوف الدوانى
وانطلاق على المدى وازدهار   وانتصار لثورة الانسان
وجمال وبهجة ورواء   وجلال باق على الازمان
وأكاليل من فخار وعز   وأهازيج عذبة الألحان

* * *

أيها القوم هذه معجزات العلـ   ـم تبدو بعينها للعيان
فاصنعوا المجد فى ربوع بلادى   واجعلوها من خيرة البلدان
وأعدوا الى الحياة شبابا   فالمصير ، المصير للشبان

جويلية 1977

الحكم بالاعدام ...

شعر حسين عطية

على لسان شخص متخلف نفسيا
طالت به فترة المراهقة

عيشى معى فى عالم الاوهام   فى زحمة الاحزان والاسقام
ولتحفظى سرا على طول المدى   عزت معانيه عن الافهام
وآستلهمى الطهر الذى قدضمنا   ألقى بنا فى غمرة الآلام
أهديك حرفى ساطعا متألقا   من شحنة الاشعار والالهام
من عبرة العين التى سحت دما   من هزة الاحشاء والانغام
يا خافقات القلب بوحى بالهوى   لا تخجلى من كثرة اللوام
الحب فيض دافق متدافع   أمضى من الساعات والايام
والقلب مضياف عفيف طيب   ما ناله الاعياء بالاكرام
كم حل فى أرجائه من طارق   فى سالف الازمان والاعوام
والآن قد طافت به عذراؤه   ثم استقرت دون ما اعلام
تختال فى أرجائه مزهوة   فى حلة أنقى من الانسام
قد آثرت عيشا بلا جدوى به   تعتز بالاوهام والاحلام
محرومة ظمأى وفى امكانها   أن تملا الاكوان بالانعام
مسكينة ترضى بعيش مقفر   فى عالم قد حف بالابهام
ترمى الى الاخلاص للروح التى   جارت فكان الحكم بالاعدام

مطالعات



الفكر العربي بين الاستلاب وتأكيد الذات

تأليف : عبد الكريم غلاب
تقديم : عبد الله الخلايفي

يثير كتاب «الفكر العربى بين الاستلاب وتأكيد الذات»(*) لعبد الكريم غلاب قضية راهنة وعلى جانب كبير من الخطورة فى الفكر العربى المعاصر هى : كيف نبنى فكرا عربيا ومعاصرا فى آن واحد دون أن نقع فى التبعية ودون أن نتخلى عن الذات ؟

وهذا التساؤل كان نتيجة حتمية للحوار القائم بين الفكر العربى والفكر الغربى بتياراته واتجاهاته المختلفة . وهو حوار تميز تارة بالهدوء والترحاب واخرى بالمقاومة والرفض ومازال مستمرا منذ عصر النهضة ومنذ أن وعى العرب تخلفهم وهم يلتقون بالغرب عبر البعثات والحضور الاستعمارى والفكر والثقافة الوافدين .

فى اطار هذا التساؤل ومن خلال الاجابات المطروحة برزت عدة قضايا ومقولات من أهمها : الاصالة ـ المعاصرة ـ الخصوصية ـ الذاتية ـ الاستلاب.

(*) نشر الدار العربية للكتاب ، تونس / ليبيا 1977 ، 219 ص .

واستخدام المفكر العربى لهذه المفاهيم له عدة معانى :

1) أن الفكر العربى متخلف وعاجز عن احتواء واقع العرب المعاصر وان تجديده ضرورة لامفر منها يقتضيها الوجود العربى برمته .

2) ان تحديث هذا الفكر لا يعنى اعتباره قضية منتهية كما لا يعنى رفض ما فيه من مقومات أساسية شكلت رؤيته للانسان والمجتمع والكون ، ولذلك فان تحديثه يعنى أولا بقاءه واستمراره .

3) ان التجديد المطلوب لا يعنى الاستعاضة عن هذا الفكر بفكر آخر هجين يفرض على واقع متميز بتضاريسه ومكوناته وعوامله الخاصة ، كما لا يعنى التغيير والتجديد والانطلاق من لا شىء بل لا بد من التفتح على الفكر الاجنبى ونبذ الانغلاق والجمود .

هذه فى نظرنا أهم المنطلقات التى أعرب عنها عبد الكريم فى تناوله لمشكلة الاستلاب فى الفكر العربى التى يرى فيها « قضية القضايا » (ص 8) .

ويعرف المؤلف الاستلاب بنتائجه فيقول :

« الاستلاب يسلب المستلب فكره وحضارته وأدبه وثقافته أو على الاصح خصوصيته الاصيلة المتجددة فى كل ذلك » (ص 7) .

وتترتب عن هذا التعريف عدة مقولات :

1) أن القول بالاستلاب يسلم بوجود ماهية أصيلة للفكر العربى ، وهذه الماهية هى جماع معطياته التاريخية والاجتماعية والاقتصادية .

2) القول بوجود قطيعة بين المفكر وذاته وبين المفكر والواقع الذى ينطلق منه .

3) ان الاستلاب يقابل امتلاك الذات والاستقلال أى الابداع باعتباره وعيا للمفكر بذاته وتميزه .

ان الكتاب فى فصوله المتعددة القضايا استقصاء لظاهرة الاستلاب الفكرى واستجلاء لاسبابها ومظاهرها وهى فى الآن نفسه محاولة لتجاوز هذه السلبية الكبرى التى يتخبط فيها الفكر والمفكر معا . ومن ثمة فهو دعوة الى الاصالة فى مقابل الزيف ، والى الحرية فى مقابل القهر والى الابداع فى مقابل العجز والاجترار .

ومادام الحديث يدور حول الاستلاب وتأكيد الذات فى الفكر العربى فان السؤال المشروع الذى يجب أن يطرح يتمثل فيما اذا كنا نستطيع الكلام عن فكر عربى ٠ ان الحاق وصف « العروبة » بالفكر يعنى حصره ضمن حدود اقليمية وربطه بذات قومية ، وهو ربط يبدو لاول وهلة متناقضا مع اعتبار الفكر قيمة انسانية لا تقف عند السدود والحدود ٠

يحسم المؤلف هذا الاشكال بتأكيد ان « الفكر ابن الحياة » (ص 10) وان الفكر العربى كغيره متأثر فى تكونه بعوامل خاصة بالامة العربية ومنها العرق والتاريخ والدين والطبيعة ٠٠ وكل هذه العوامل التى تعبر عن قومية الفكر العربى تعبر فى الآن نفسه عن انسانيته . وللفكر العربى مقومات من أهمها الدين الاسلامى وله ميزات من أبرزها حرية التفكير والتعبير والتفتح ٠

اذا أثبتنا وجود هذا الفكر فى تميزه وانفراده فهل بامكاننا ان « نؤكد ذاته » والحال أن هذه الذات ضعيفة لا تقوى على المجابهة ؟

هل نقنع بهذا الفكر كما استوى فى الماضى باعتبار انه الفكر العربى الاصيل ؟

ان عبد الكريم غلاب ينفى عن نفسه الدعوة الى الوقوف السلبى من « تطور الفكر ومسيرة التاريخ » (ص 7) ويرفض التقوقع والانغلاق والتشبث بالماضى على علاته ، انه يدعو الى « صمود الفكر العربى فى خصوصياته المتجددة حتى لا يصبح تابعا ــ مجرد تابع ــ فى عالم لا يعيش فيه غير الذين تستقيم ذواتهم وهم يؤكدون وجودها » (ص 8) ٠

فالتبعية اذن مظهر بارز من مظاهر الاستلاب ، والتبعية تنجم عن عوامل عدة.

1) منها الاستعمار الذى أدى الى غياب الفكر العربى عن الارض والتاريخ واستعمل شتى الوسائل للقضاء على شخصية المستعمر (بفتح الميم) فى مستوياتها المختلفة ٠ ولئن رحل المستعمر كوجود مادى وعسكرى خاصة فان نهايته لم تضع حدا للاستلاب الفكرى لان الاستعمار قد كون شخصية جديدة فى البلاد التى كان يحتلها وزرع فى بعض فئاتها قابلية التخلى عن الشخصية القومية وتبنى الافكار الغربية وتقديس اللغة الاستعمارية . وهذه الفئة الوريثة للمستعمر تتبنى منطقه وسلوكه واسلوبه . ويلح عبد الكريم غلاب على القضية اللغوية ايمانا منه بان اللغة ليست أداة لنقل الافكار فحسب ولكنها بما تحمله من شحنات ثقافية ومفاهيم متقاربة ان لم نقل واحدة تعتبر مقوما أساسيا فى الفكر العربى ٠

2) ان التبعية ليست ظاهرة ناتجة عن الاستعمار العسكرى والاقتصادى والثقافى فحسب ولكنها أيضا ناجمة عن التخلف وعن قابلية احتضان الافكار الوافدة مثلما تقبل البضاعات من آلات ومواد وغيرها ٠

3) اذا كان تقليد الغرب تبعية وبالتالى استلابا فان الوقوف عند الماضى وتمجيده واجترار ما كتبه الاقدمون والعجز عن الابداع هى الاخرى استلاب ومن مظاهر الاستلاب فى الفكر العربى :

1) **المثالية** : فاعتبار الفكر رياضة فكرية وتعاملا مع المجردات يؤول الى قطيعة بين المفكر والواقع الذى يعيش فيه . ان المثالية استلاب لانها « ترف » ولانها اعراض عن الواقع وابتعاد عنه ٠

ولذا يلح عبد الكريم غلاب على ضرورة الارتباط بالواقع وفهمه وتحليله وايجاد الحلول لمعضلاته :

« نحن فى عالمنا المتواضع مدعوون أن نفكر بدافع من واقعنا ومن الحاح هذا الواقع وبدافع من حاجتنا ومصلحتنا وبدافع من هذه الحاجة والمصلحة » (ص 158) . كما ينادى « بمنطق عملى يتسم بسمة العصر » (ص 158) وفى ربطه الفكر بالعمل وتأكيده على التزام الواقع الاجتماعى والحضارى العربى يتبنى عبد الكريم غلاب المذهب الذرائعى (البراجمتزم) ملتحقا بصنف من المفكرين العرب يأتى « زكى نجيب محمود » فى كتابه « تجديد الفكر العربى » على رأسهم ٠

2) **تمزق المفكرين العرب :**

ان الاختلاف فى الفكر وبين المفكرين أمر طبيعى وحاصل ولكنه يضحى استلابا اذا كانت أسس الخلاف تستند الى ما يأتى من الخارج ٠ « والاختلاف بين المفكرين العرب ليس ذاتيا بقدر ما هو تبعى » (ص 190) ويضاف الى التبعية تعميق الوطنيات الضيقة التى تستمد وجودها من الاستعمار والقبلية والعشائرية ٠

ان التطلع الى الوحدة العربية يستدعى أولا توحيد الفكر ولا يعوز المفكرين العرب الاسس الاولية التى يمكن أن يقام عليها هذا التوحيد : فهناك أولا الواقع العربى وهو قاسم مشترك بين كل المفكرين وهناك ثانيا الشعور بالدور والمسؤولية التى تقع على كاهل المفكر تجاه وضع مأزوم متخلف وهناك ثالثا اللغة العربية التى تتطلب الدعم والتطوير وهى حجر الاساس فى الوحدة الفكرية ٠

كيف نخلص الفكر العربى من الاستلاب ؟ كيف نجدده دون ان نجعل منه فكرا تابعا ؟ هذه التساؤلات تصدى عبد الكريم غلاب للاجابة عنها فى أكثر من موضع ـ ذكرنا بعضا من هذه الاجابة فيما سبق ـ وقد خلص بعد تحليله لمجموعة من السلبيات السائدة فى الفكر العربى الى أن الثورة الفكرية شرط أساسى ولازم لكل تغيير حضارى أو ثقافى ، ومكان المفكر انما هو داخل المعركة لا خارجها والاكتفاء بالتفرج والاطلالة من بعيد تهمة فى عرف « غلاب » ان لم نقل خيانة .

واقعية التفكير هى المقولة الاولى والجوهرية فى رؤية الكاتب للتغيير المنشود . ومن ثمة فان ربط الجامعة بالواقع أمر لا مناص منه لان الفكر حسب المؤلف منبعه الجامعة ولان الجامعة لا تنحصر وظيفتها فى تكوين الاطارات والموظفين ولكنها ـ وهو الاهم ـ تخرج الاطر الفنية والفكرية القادرة على الابداع والتفكير المستقل .

والواقعية فى التفكير تستدعى التسلح بالعلم والاخذ بمناهجه حتى نتجنب التفكير العاطفى وهو مظهر من مظاهر التخلف وحتى نفهم الواقع فهما صحيحا يمكننا من ايجاد الحلول ، أى من التغيير : « .. التفكير بالعلم لا يراد منه تطور نوع التفكير ـ لمجرد التفكير ـ بمقدار ما يراد منه تطور مستوى الحياة ومستوى الانسان على العموم » (ص 146) .

والمقولة الثالثة تتمثل فى أن هذه الثورة الفكرية لا يمكن أن تتم ما لم يراع مبدأ حرية التفكير ، لذلك فان رسم الحدود التى ينبغى أن تبنى عليها العلاقة بين المفكر والسلطة السياسية أمر واجب .

اننا قد لا نتفق مع عبد الكريم غلاب فى بعض القضايا الجزئية كتقييمه للفكر الناصرى وفكر البعث (فصل : الفكر السياسى) وقد لا نتفق معه فى رؤيته للحرية فى الاسلام وقوله بأن : « الخلافة كانت فى جوهرها جمهورية ديمقراطية اتحادية وانتهت الى امبراطورية فردية » (ص 26) ولكننا نعتقد أن طرح قضية الاستلاب بأبعادها الخطيرة يدل على فهم عميق لحقيقة التجربة التى يواجهها الفكر العربى فى العصر الحديث ولتميزها عما سبق من تجارب كما يدل على عزم المفكر العربى على الابداع والتجديد والتخلص من السلبيات والعوائق التى تحول بينه وبين بناء فكر عصرى اصيل .

ونعتقد أيضا أن هذا الكتاب مساهمة تضاف الى جهود المفكرين السابقين على المفكر المغربى من أمثال : أنور عبد الملك وحسن صعب وزكى نجيب محمود .

مقولة « عصور الانحطاط » .. في الميزان

عمر خير الدين
الرقة – سوريا

السيد مدير مجلة « الفكر » المحترم
تحية مخلصة

اطلعت بفائق الاعجاب ، على الملف الخاص بالادب الموريتاني ، والذى كان لمجلة « الفكر » شرف الريادة فى إعطاء نظرة إجمالية عنه . وقدرت دعوتكم الاقلام للتبارى فى نقد هذا العدد ، وابراز خصائص الادب الموريتاني ، وتحديد آفاقه المنتظرة ليكون رافدا نوعيا فى نهر الادب العربى . وقد أحسنتم صنعا بتخصيص قسم كبير من الملف للبحوث التى جاءت فى شكل مدخل الى معرفة الخطوط الكبرى للحياة الفكرية والادبية لموريتانيا عبر الماضى مع إطلالة على الحاضر .

أود أن أشير بوجه التحديد الى البحث القيم الذى قدمه السيد محمد الحافظ بن أحمد حول « المحاضر » ودورها التثقيفى فى تاريخ موريتانيا ، متوجها اليه بالشكر على التنويه بمراكز كان لها عمل تعليمى يتغلغل كالشبكة فى المجتمع. وتذكرنا هذه « المحاضر » بالكتاتيب والمدارس الدينية التى كانت متواجدة فى المشرق حتى العقود الاولى من القرن العشرين ، والتى لا يمكن التقييم الاحصائى للأمية فى البلاد الاسلامية الا بعد أخذ دور هذه الكتاتيب التعليمى بعين الاعتبار ، لان هذه الكتاتيب كانت متوغلة فى الارياف ، ولدى قبائل البدو ، وفى شرايين الاحياء فى المدن ، شاملة الذكور والاناث ، مما يدعو الى التساؤل هل كانت الأمية فى القرن التاسع عشر ، ولدى الجنسين ، أكثر انتشارا فى البلاد الاسلامية العربية أم فى أوروبا . واعتقد أن النتيجة لن تكون فى صالح الاخيرة ، وبنسبة عالية فى الفارق .

مهما يكن من أمر فانى أسطر هذه الكلمة ، واختار بحث السيد ابن أحمد

بوجه التحديد ، بسبب الجملة التالية التي وردت في بحثه ، وترتبط بفكرة جانبية لا علاقة لها مباشرة بموضوعه ، وهي : « فنجد أن المحضرة ودورها في النهضة الادبية الموريتانية في الوقت الذي كان الادب العربي يعيش فترة امتحان عصيب ، نتيجة لخضوع الغالبية العظمى من وطننا العربي للحكم العثماني المتعفن الذي قتل الملكات وأخمد جذوة الابتكار ، في هذه الفترة التي وسمت في التاريخ العربي المعاصر بفترة الانحطاط . في هذه المرحلة المظلمة من الحضارة العربية ... الخ » .

أعتقد أن الأخ محمد الحافظ بن أحمد ، وقد اجاد في تناوله موضوع المحاضر والتعريف بوجه من أوجه الثقافة الموريتانية ، انساق فيما يتعلق بالتقييم العام للادب العربي ، مع إحدى المقولات التفتيتية التي استنبطتها عقول المستعمرين والصهاينة والصحافة العربية المسخرة المأجورة التي كانت تصدر في أروبا في القرن التاسع عشر ، لتسديد الضربة القاضية والاخيرة للعالم الاسلامي والعربي ، متمثلا بالسلطنة العثمانية ، بعدما تهيأ له استعمار المغرب العربي ، وأعني مقولة « عصور الانحطاط » التي أخذت بها أيضا بعض الاقلام المحلية المشرقية ، إما بدافع الحقد الدفين على التاريخ الاسلامي ، أو بدافع من الانجراف غير المسؤول ، وبالتالي بحسن نية . وأجزم أن الاخ ابن أحمد لم تصدر منه مثل هذه العبارة التقييمية الا بحكم التقليد الاتباعي .

مقولة « عصور الانحطاط » المزعومة ، اصبحت كقميص عثمان في أيدي أعداء الاسلام ، ولكن هذا القميص الجديد له خصائص عجيبة . فالبعض يجعلها فترة « ميني » وتقتصر على العهد الاسلامي العثماني ، والبعض يجعلها ستة قرون لتشمل العهدين الاسلاميين العثماني والمملوكي ، والبعض يمثل الحقد الاكبر ويجعلها فترة « ماكسي » تغطي عشرة قرون (كقول مثل هذا الشاعر : ألف من الاعوام مظلمة ! ؟) ، ليدينوا تقريبا كل التاريخ الاسلامي ، مستبقين، على سبيل الحيطة ، شريحة ضيقة يمكن الانقضاض عليها لاحقا ليعودوا بنا الى الجاهلية الاولى ، متناسين أن العهد الايوبي هو الذي مرغ عنفوان الغزاة ، وأن العهد المملوكي هو الذي طهر الارض الاسلامية العربية من المستوطنين الصليبيين المحتلين وكسر شوكة التتار الوثنيين ، المتحالفين مع الاولين لتشكيل كماشة إفنائية، وساهم في اجتذابهم الى الاسلام لاحقا ليصبحوا اخوانا لنا ، وأن العهد العثماني هو الذي استأنف عصر الفتوحات والهداية بعدما توقفت هذه منذ القرن الثالث الهجري ، وحرر ثغور المغرب العربي ، وشطآن البحر الاحمر ، ومناطق الخليج ، وأزاح كابوس التهديد البيزنطي لبلاد الشام

الى الابد ، وحقق الكيان الوحدوى الاسلامى للمرة الثانية فى التاريخ . وهذا سر الحقد الاستعمارى الكبير الكامن وراء مقولة « عصور الانحطاط » التى تبتغى تفتيت كياننا الروحى .

وفيما يتعلق بالادب بالذات ،من المعروف أن المنهج العلمى يستتبع منا أن لا نصوغ « قالبا » قيميا نرفعه لنستر جهلنا بمفردات الوقائع . بل يقتضى أن نجرد ما فى المكتبات العامة والخاصة من مخطوطات لنستقرىء منها بالتدريج أحكاما توصيفية . وهناك الآلاف منها تتعلق بالعهد العثمانى ، والعهود السابقة ، فهل استنفدنا جردها وتحديد معالمها ومواصفاتها ؟ أليست كتب الادب العام ، المؤلفة فى معظمها فى لبنان أو غيره ، والتى تتحدث عن « عصور الانحطاط » ، لا تفرد لكل أدب المغرب العربى صفحة واحدة !

وفى هذه الاحكام التوصيفية ، يجب تفادى المطب التالى : عدم الحكم بالنقصان ، لعدم وجود لون من الالوان فى الرسم مثلا ، ليس فى العهد العثمانى أو فيما قبله ، تصوير ورسوم بالمعنى الاروبى ، بينما ازدهرت هذه الفنون فى أروبا : إذن نحن متخلفون . مثل هذا الحكم يمكن تسفيهه بمنطق معاكس . ليس فى البلدان الاروبية فن كتابات وخطوط مع انها كانت مزدهرة لدينا فى كافة العهد الاسلامى ولا سيما العهدين المملوكى والعثمانى : إذن أروبا متخلفة . ويندرج هذا التحذير على بقية القطاعات: الجوامع ، التكايا ، المدارس ، المدائح النبوية ، الشعر الصوفى ... لدينا . والكنائس ، والمسارح ، والتمثيليات ... فى أوربا . بمعنى أن هنالك مسارات نوعية تتحكم بها الارضية الثقافية الى حد كبير .

كلمة حق اردت أن أشير اليها ، متمنيا للأخ ابن أحمد دفعا جديدا فى بحوثه ، وللأدب الموريتانى المزيد من الانطلاق يرفد بجدوله الصافى نهر الأدب العربى ، بعيدا عن المزالق والوصفات الجاهزة المستوردة عن عداء كياننا الروحى .

والشكر كل الشكر لمجلة « الفكر » مشكاة الثقافة الواعية .

الرقة
عمر خير الله

بريد القراء

لقـــاؤنـــا

شعر : محمد الطاهر النباوى

ويوم الدرس لقيانا — وفى الساحات مأوانا
وبين الفصل والفصل — يكون الوعد قد حانا
فتسرى رعشة فينا — وتبكى العين أحيانا
وتجرى دمعة حرى — فيطفو القلب احزانا
ويعدو فى الهوى شوطا — وما للحب عصيانا
ولكن للهوى نأتى — كأن الحب أوصانا
يرانا الناس فى الفصل — وليس الفصل يرعانا
فنحن لا نعى الدرس — كأن الحب اعمانا
ملاك تيم قلبى — سقانى الحزن الوانا
أخاف منه انسانا — كأنى لست انسانا
بسهم يضرب قلبى — وكان السهم احسانا
بكانى عندما غبت — فجاء الحب بكانا
فلما غاب تيمنى — وزاد « الشعر » أوزانا ؟!!
بقلبى النار تحرقنى — فحتى النوم جافانا
ومات الدرس فى شفتى — فهـذا الحب عرانا
فصرت أبكم أعمى — أصم مات جوعانا
لهيب النار يحرقه — وقول الناس أحيانا
فكم من مرة نأتى — وليس الدرس مبغانا

ملاحظة : رغم ما فى هذا القصيد من الهنات العرضية فاننا اثبتناه تشجيعا للشاعر واعتقادا بأن هذا القصيد فيه من الروح الشعرية ما يخول لنا نشره وما يبشر بكل خير .

تقرير عاجل من زنزانة 19

شعر : حلمى الزواتى

أحكموا قيدى ،
وشدونى إلى عمق المقابر
واربطوا عينى بالآهات بالاحزان ،
بالبلوى ، باطراف الستائر
وامطرونى وابلا من حقدكم
من ناركم
واذا أردتم فاجعلوا جلدى
كتابـا
واجعلوا الاقلام
اعقاب السجائر
وضعوا على جرحى الرماد
وكل ذرات الصلاد
وخيطوا
فمى المسجى بالردى

واذا انتهيتم احفروا اسمى
على جسدى
وقولوا كان ثائر

★ ★ ★

يا مارقون
وان يطل ليل الأسى
فالفجر قادم
ان تحكموا قيدى
وإن فقأتم عيونى
لن أهون
فمن ضلوعى ألف صارم
نحن الذين على الأسى
يخضر يابسهم
وتنتشر الحمائم

★ ★ ★

● الصديقة : سميرة الكسراوى · الكاف ــ تونس

ننشر نتاجها الطيب شكلا ، ومضمونا على اعتباره لوحة فنية اقرب مــا تكون الى الشعر ، وانها لواقعية فضلى الا تدعى الاخت سميرة انه (شعــر)

كمن يعتمد نظرية التجاوز ليسمح لنفسه بالخلط بين ما هو شعر وما هو نثر والفاصل بين هذا وذاك قد لا يكون الا (فاصلا موسيقا) صامتا ولكنه مصلفح . ولقد اختارت الكاتبة لنتاجها عنوانا شاعريا : (**انتحار الفجيعة فى زمن الصمت**)

قابع أنا فى هذا المكان منذ زمن لا محدود .. منذ وقبل وبعد أن توقفت عقارب الساعة الجامدة المعلقة وراء ظهرى .. منذ أن تعطلت حركة الليل والنهار والايام .. قابع جامد راكن فى هذا المكان الضيق الرطب .. لا حركة ولا صوت ولا ضوء ولا حرارة ولا شخير ولا زفير ولا صفير ولا صياح ولا صراخ ولا هواء ولا أنفاس ولا حفيف ولا دبيب ولا جرى ولا سباق ولا خطوات بطيئة ولا حياة .. كل شىء فى هذا المكان جامد راكن ساكن صامت قابع أنا .. جالس واقف متربع مستلق على قفاى راقد وعضلاتى مسترخية استرخاء تاما وجسدى هامد لا حراك فيه ولا انفعال ولا توتر .. تحسست وجهى دون ان ألمسه بأصابعى ولما لم أجده أدركت بأننى أضعت وجهى خارج دائرة المكان وحدود الزمن الميت .. خارج الموت وداخله ، خارج رحم أمى وخارج بطن وطنى المبقور وخارج الحياة وخارج الكفن والنعش .. تحسست كل الاشياء دون ان يتحرك جسدى المسترخى فى لذة الركون ولم تكن لكل الاشياء المحيطة بى وجوه وأدركت بان لبنان فقد وجهه وادركت بأن كل الاشياء فى هذه الدائرة تعيش بلا وجه أو ربما هى ميتة بلا وجه وكنت لا أدرك الاشياء ببصرى بل بحاسة سادسة سابعة ثامنة خفية لان عينى ليست مفتوحة وليست مغمضة ولاننى لا ابصر كل شىء بالرغم من أننى أرى كل شىء ولاننى أصبحت منذ زمن لا محدود بدون نظارات طبية سميكة وبدون رؤية واضحة بسبب كل الغشاوات العصرية المعروضة فى الاسواق العامة .

الصمت طويل لذيذ .. والركون لذيذ والسكوت لذيذ وعقارب الساعة جامدتان لذيذتان شهيتان مرتميتان فوق ساحة صفحة بيضاء منبسطة كسهول الاطمئنان والانتظار والقناعة .. سهل أبيض بلا أرقام بلا ألغاز بلا أمس بلا غد بلا حدود بين الدقائق والساعات والاعوام والقرون .. الصمت اللذيذ مستنقع ماء عفن متسخ راكد كبحيرات الهزيمة وأسماكها التى انتحرت بمادة الملح والد. د. ت. وعلامات الرضا والكبت والاختناق والغربة والتشاؤم الاسود والهواء المسدود .. الصمت اللذيذ فى القبر وراء جنازة بلدى المطعون وفى بويضة أمى التى سقطت ميتة قبل أن تفقس .. الصمت

اللذيذ عندما أموت ٠٠ وأنا أموت قبل أن أولد وبعد أن أولد وأموت عندما اهزم الصمت وأموت عندما أرمم وجهى وأموت عندما أنفخ فى الطين نطفة الخلق وروح المواجهة والتحدى فأرسم عينين كبيرتين مفتوحتين وأموت عندما أحتضر وأموت بعد الموت وقبله ٠

عندما نكون جميعا عقارب جامدة فى دائرة الصمت يكون دبيب النمل فى آذاننا ضجيجا وجلبة ٠٠ ويكون المشى العادى دكا عنيفا يصم السمع ويفجع انتباه الراقدين فى قبر الهدوء ٠٠ ويكون التنفس الطبيعى اعصارا وريحا هوجاء وعاصفة رملية ويكون اشعال قشة صغيرة حرائق نارية وموجة حرارة مستعرة ٠ عندما نكون متلبسين بأكفان الصمت ورتابة اللا حركة وروتينية الموت والجماد تفاجئنا الحياة وتزلزلنا الاحداث البسيطة وتأخذ الحركة العادية أبعادا هائلة وحجما عملاقا عملاقا !!

الصمت يطول كبتا نوما جمودا .. ثم يتمطط طولا وعرضا .. ثم يتطاول انفجارا ٠٠ فتنتحر لبنان فى أهداب الفجيعة والصمت الكاذب ٠

قصص الأعداد القادمة

هذه الارض العبوس	قصة : نور الدين بن بلقاسم
منديل الطبيب الأبيض	قصة : عبد الحميد العلانى
الحرباء	قصة : حياة بن الشيخ
ثورة فاشلة على الفشل	قصة : مبارك السنوسى
صرخة الدماء	قصة : حمودة الغزى
النظر الى ما وراء الأفق	قصة : عبد العزيز الأسمر
الثعابين	قصة : سالم الدخلى

ردود سريعة

● الصديق : البحرى ع. سليانة ـ تونس : بعث الينا بمحاولتين فى الشعر الاولى بعنوان : « غريق حتى العنق » والثانية بعنوان « مريض بالصداع أنا » نشجعه على مواصلة هذه المحاولات فأول الغيث قطر .. وينهمر المطر .. اذا استمر الصديق البحرى مواكبا فى تطلعاته اطلاعاته الجادة على كل ما يجد فى ميدان الشعر مع التفاتة كريمة منه الى مقومات هذا الفن اذ الايقاع الموسيقى .. واعتماد التفعيلة « لا البحر على الاقل ـ ضرورة يلبى نداءها كل من أراد أن يكون شاعرا بحق .

● الصديق : عبد الحميد ح. ط. دقاش ـ تونس فى مقال بعنوان « أيها الانسان » وآخر بعنوان « قال حبى » : تحدث فيهما عن فلسفته فى (الانسان والحب) ولو ترك فلسفته تتحدث بدون نقل مباشر لأمكن له أن يحدد ما اراد أن يقول فى كلمة مركزة ذات أبعاد مشوقة وعلى أمل اللقاء به فى أعمال أدبية أخرى أنصح الصديق عبد الحميد بأن يتداخل بين أعماله وأعمال غيره ليحذر مسألة الاطلاع على ما لغيره فيتسنى له الحكم على ما له وما عليه . وانه لواصل ما دامت المحاولات الاولى تعدنا باشياء كثيرة وفريدة فى نوعها . ومسألة الاطلاع هى المنهج المفضل للغوص الى الاعماق ما دام هذا الصديق يقول فى « مقالة الحب » : « .. عودونى لعبة العوم والغوص ، انه قيل لى : ان فى باطن المحيط لآلىء وجواهر .. وبقيت أصيح .. وأصيح .. »

● الصديق : الحبيب ز. حلق الوادى كازينو ـ تونس فى قصيد عنوانه « تائه » أتشعر بالتيه وأنت الشاب الذى تتطلع الحياة الى قسماته الباسمة .. هلم بنا الى الامل .. محتضننا مستقبلك الافضل فى ظل قراءات دبية كثيرة تغمس مواهبك الشابة بين الكتب كالقلم الذى يغمس فى الدواة ليخرج الى الكتابة بشفاه يضمخها الحبر .. ولا تجف حتى تنزل الخاطرة على ورق الوضوح .. والنضج . وانك لقادر على الوصول الى مرماك حيث تثبت خطاك طريق التعبير عن المشاعر الفياضة . ونحن فى تشجيعك آخذون بما سيأتينا الى نافذة النشر ..

اعداد : ص. ش.

أصداء الفكر

للصادق شرف
(أبو وجدان)

• ساقية سيدى يوسف .. والجوائز :

① الشعــر :

الجائزة الاولى من نصيب الشاعر أحمد المختار الهادى لقصيده : « ملحمة لساقية الحدود » .
الجائزة الثانية للشاعر سعد الغزال لقصيده : « رمز الفداء » .
الجائزة الثالثة من نصيب الشاعر لطفى عزالدين لقصيدته: «اذكرى أمسك».

② القصة القصيرة :

الجائزة الاولى من نصيب القصاص أحمد القديدى لقصته : « الطفل والقرية ».
الجائزة الثانية من نصيب القصاص عبدالقادر الحاج نصر لقصته: «السفر».
الجائزة الثالثة من نصيب الشاعر القصاص عبدالرحمان عمار لقصته: «الاخوان».

فتهانينا الحارة للشعراء والقصاصين الفائزين فى هذه المناسبة المجيدة ويا حبذا لو تبرز فى ذكرى «ساقية سيدى يوسف» الخالدة مثل هذه التظاهرة الثقافية كل سنة تشدنا الى ساقية الدم المزيج من دماء شهداء الجهاد بتونس والجزائر فى ملحمة النضال الحق .

• ملتقى فكرى مشبوه :

تحت هذا العنوان وفى ركن مواقف من جريدة « البيان » فى عددها 14 من سنتها الاولى تعرض الاستاذ محمد المصمولى الى ما جاء فى « أصداء الفكر » العدد 5 السنة 23 من طرف الدكتور الصادق المقدم والاستاذ البشير بن سلامة ردا على دعوة السيد (غالون) مدير الدراسات بباريس الذى ألقى محاضرة (بمهرجان القصور) أشار فيها الى مستقبل اللغة البربرية فى تونس ، آملا من الشباب التونسى أن تجد تلك اللغة حظوة لديه .. « **وهيهات أن تلقى**

دعوة السيد (غالون) أية عناية من أية جهة فى تونس . **وفى هذا الاطار من التحدى والخلفيات** » وهذا ما جاء فى رد الاستاذ بن سلامة .

أما رد الدكتور الصادق المقدم فقد جاء فيه : « **إن تعدد اللغات بالبلاد من شأنه أن يشكل عاملا من عوامل الانقسام فى صلب المجتمع . لذلك أقر دستور البلاد التونسية « اللغة العربية » كلغة قومية باعتبارها عاملا أساسيا لتوحيد الأمة ، وبناء نهضتنا الحضارية الشاملة** » .

أما موقف الاستاذ المصمولى فى جريدة « البيان » التونسية ، فهو كما يلى :

« **لغتنا العربية ما زالت تتعرض بين حين وآخر الى مؤامرات فى الخارج والداخل الغاية منها تكريس الاقليمية ، أو تفريق الصفوف ، أو تشكيك المواطن العربى فى مقومات شخصيته وحضارته ، أو رسم أسلم السبل والمسالك لتصعيد هجمات الغزو الثقافى الاجنبى** .

وفى هذا السياق يمكن الاستشهاد بالاديب اللبنانى المشبوه (**سعيد عقل**) **الذى دعا وما زال** يدعو الى ضرورة **تعويض الحرف العربى بالحرف اللاتينى ويمكن الاستشهاد** ببعض **جماعة** شعر (فى غير العمودى والحر) **الذين دعوا الى الكتابة بما اسموه : باللغة التونسية** » .

واى لغة يعنون هؤلاء ؟ أهى اللغة التى يدعو لها (غالون) اليوم ؟ أم التى كان الاستعمار يدعمها بالنار والحديد ؟ ويريد أن يقتنها لتحل محل الفصحى. فكان فشله ذريعا رغم الحديد والنار ، ورغم شعر «فى غير العمودى والحر» الذى حاد عن مبداه الاول. فكفكف من غلوائه اخيرا. عندما أردك أن أبناء العروبة فى تونس العربية ، لا بديل لهم عن الفصحى مهما كانت وسائل المسخ والاستلاب المستعملة لديهم ، من النار والحديد .. وحتى الشعر والقصيد ، وهى متفرقة على مساحة ما قبل الاستقلال وبعده . ولو اجتمعت كلها فانها قد تستطيع أن تسلخ جلودنا عن اجسادنا ، ولكن لن تستطيع أن تسلخ لغتنا العربية عن ألسنتنا ، وتاريخنا ، وحضارتنا ، ومستقبلنا الذى لا يمكن أن يكون الا عربيا ، يا استعمار .. ويا وليام مرسى .. ويا ليونال غالون .. ويا بعض جماعة (فى غير العمودى والحر) . **وأنتم بما أنكم من أبناء هذا الوطن. وهذا الوطن العزيز لا يمكن أن يستغنى عن مجهودات كل ابنائه ، فقد أنتج « قافلة تسير » . فلا تبخلوا عنها بمجهوداتكم حتى تسير القافلة** ، وتعمر جناديبها ، ويكون لها الصوت والصدى . ومن اختلاف الاصداء **تكون الجوقة اذا هلت ليالى القمر** .

◆ **خطك ردیء .. والاهداء لمن ؟**

– الى كل امرأة ترفض أن تبيع نفسها .

– الى كل امرأة تقتصر على المطالبة بالمساواة مع الرجل فى الواجبات .

– الى كل امرأة ارتفعت من الاحساس السطحى الهائج إلى التفكير العميق الهـادیء .

– الى كل امرأة تعى ما تريد ، وتقدر المسؤولية .

– الى كل من يؤمن بالانجاز ، ويغلب الفعل على القول .

بهذا الاهداء الهادف والواعد فى آن واحد ، افتتح الاستاذ **عبد المجيد عطية** الذى له عدة أعمال أدبية منهـا : (المنبت . وخمسة كتب من أدب الطفولة) افتتح هذه القصـة الطـويلة بـذلك الاهـداء وقسمهـا الى خمسـة فصـول تحت عنوان : « خطـك ردیء » ويقول المؤلف عن عملـه هذا : « كتبت هـذه الرواية سنة 1976 وبقيت تنتظر أن تنشر ومضت سنوات فى الانتظـار ممـا زهدنى فى مواصلة الكتابة وصرفنى الى العناية بشؤون التربية . ولما تأسست « **منشورات الجديد** » عاد الامل فى نشرها ، فرجعت اليها بعد عشر سنوات من كتابتها ، فوجدتنى غير راض عنها ، فعمدت الى اعادة كتابتهـا ، وبهـذا اتضحت صلة التفاعل الشديد بين التأليف والنشر إذ الاول حافز للثانى ».

و « **منشورات الجديد** » هى دار للنشر والتوزيع يمولها المنتجـون ذاتيـا وبذلك تحدوا كل العوائق التى تتكدس فى طريق الوصول الى دور النشـر ولنشر انتاجات أدبائنا ومفكرينا ..

ونحن إذ نبارك هذه البادرة الآملة ، لا يسعنا الا أن نستبشر بأول كتاب وصلنا من « منشورات الجديد » وهـو « **دهـاليـز الليـل** » رواية للقصاص المعروف الاستاذ **حسن نصر** . وكان هذا العنوان هو إشـارة من الـدار الى نظرية : « أصعب الامور مباديها » التى أخذت تتجاوزها النظـرية القائلة : « ليس أصعب الامور أن نبدأ ولكن الامر الصعب ، أن نواصل ما بدأنا » ...

◆ **القيروان تحتضن « الندوة الاسلامية » :**

بمناسبة المولد النبوى الشريف احتضنت القيروان ندوة اسلامية هامة أشرف على افتتاحها وزير الشؤون الثقافية السيد الشـاذلى القليبـى والقى بالمناسبة محاضرة حلل فيها بعض قضايا المجتمع الاسلامى التى تستقطب

اهتماماتنا لجعل الدين الاسلامي في اطار صلوحيته لكل زمان ومكان عمليا .
وهذه المناسبة جديرة بأن تكون ملتقى سنويا ببلادنا نتدارس فيه أوضاع أمتنا الاسلامية ، واقدارها على مجابهة متطلبات العصر ، ومتناقضات التطور فيه . لنكون بحق خير أمة أخرجت للناس .

• مرجع اليونسكو الجديد بالعربية :

مرجع اليونسكو الجديد في تعليم العلوم بعد أن صدر بالفرنسية والانقليزية ها هو يصدر أخيرا باللغة العربية (الجديدة) في بيروت والاستاذ أحمد شفيق الخطيب هو الذي قام بنقل الكتاب المذكور الى اللغة العربية . ولنشر المعرفة واخصاب التعليم العلمي بين المعلمين والطلاب يكون هذا الكتاب في العالم العربي من أجدى الكتب وأنفعها لدراسة العلوم باللغة العربية .

ويحتوى الكتاب على مئات الصور والجداول منها : جدول العناصر الكميائية . الجدول الذرى للعناصر . جدول اللوجاريتمات بالارقام الهندية والعربية المستعملة في تونس .

وقد جاء في مقدمة الكتاب ما يلي : « تعليم العلوم ينبغي أن يبدأ على مستوى الدراسة الابتدائية ، حين تبدأ غرائز الفضول وحب الاطلاع في الصغار ، تتفتح كالزهرة ، ولكن ادراك التوفيق في هذا الجهد التربوى يقتضى تطبيق الاساليب الحديثة ، المجربة ، المتطورة الخاصة بتدريس العلوم للصغار واعداد مدرسى العلوم المؤهلين في معارفهم العلمية ومزاياهم الخلقية والنفسية لتعهد هذه المواهب المتفتحة » .

والمتأمل في برامج التعليم الابتدائي ببلادنا يلمس مباشرة هذا المنحى الذى اتجهت اليه مدارسنا الابتدائية ضمن معركة الاصلاح التربوى الشامل الذى اتخذ من ممارسة المهارات اليدوية منطلقا أوليا يكسب الطفل القدرة على تنمية مواهبه في ظل الرعاية التربوية التى تمكنه من البلوغ مستقبلا الى استثمار قدراته في مجال التقنية العلمية الحديثة دون أن تنسى تلك الرعاية التربوية الجانب الروحى في الطفل ، حتى لا تنجرف أجيالنا المقبلة في التيارات المادية ، وحتى لا يسقط انساننا في شخصية « الانسان الآلة » ذلك الداء الحضارى الذى أصبحت بعض الامم اليوم تعانى منه ، ومن مضاعفاته في هذا العالم الذى يعيش أزمة فقدان الانسان لانسانيته . وللوقوف على المعالجة القيمة لهذه الظاهر أحيل القارىء الكريم على الافتتاحية التى كتبها أستاذنا محمد مزالى لهذا العدد من مجلة « الفكر » .

• « **الفكر** » **فى جريدة** « **الثورة** » **العراقية :**

تحت عنوان « الادب الموريتانى فى مجلة الفكر » كتبت جريدة « الثـورة » بالعراق الشقيق فى عددها الصادر يوم 9 / 1 / 1978 . وفى ركن « فى رحاب المجلات العربية » كتبت تقول بقلم الاستاذ عبد اللطيف أرناؤوط :

« **لم تكـن معرفتنا بالادب الموريتانى واضحة المعالم فى اذهاننا ، ولم نكـن ندرك الاتجاه الفكرى المنطلق من القضايا المرتبطة بالادب العربى الموريتانى .. وتاثير البيئة الاجتماعية والمشاكل الاقتصادية على نتاج الكاتب الموريتانى خلال مسار التطور التاريخى .. واهتمت مجلة « الفكر » التونسية فى العدد الثانى من السنة 23 . بالفكر الادبى فى موريتانيـا .. فأفردت 92 صفحة للدراسات والنماذج الادبية عالجتها أقلام موريتانية فرسمت خطوط الواقع الادبى .. »**

وقد اهتم الاستاذ أرناؤوط فى بحثـه بمـا جـاء فى مجلـة « الفكـر » من دراسات عن الادب الموريتانى وقسمها الى صنفين :

① الحوادث التاريخية وتأثيرها على النتاج الادبى .

② دراسة القصائد والقصص المنشورة فى العدد .

وقد خصص بحثه القيم للصنف الاول وارتحل فيه مكتشفا كاشفـا أبعـاد الحوادث التاريخية وتأثيراتها فى الادب الموريتانى متوقفا قليلا لتحليـل كـل دراسة من ملف الادب الموريتـانى الذى حملتـه « الفكـر » الى اخواننـا فى الشرق العربى فوضحت لهم بعض معالمه ومكنتهم من التعرف عليه . وجميل أن تتضافر جهود الجميع فى العالم العربى شرقه وغربه لتقريب ما نأى عنا إلينا ، وفى ذلك التحام لشعوبنا ، وفى ذلك رفض قطعى لكل ما من شأنه أن يضرب وحدة الصف العربى تجاه قضايانا المصيرية .

أما الصنف الثانى وهو « القصائد والقصص » فقد أرجأ الكاتب البحث فيه قائلا : « **لنا عودة الى مرابع ظلالها الممتدة فى الواحات المزدهـرة .. والوهـاد الصامتة .. الحالمة بالمشاعر الانسانية** » .

• **الخلق الجنسى فى الاسلام :**

دحض لما يدعيه المستشرق الفرنسى بوسكه (G. H. Bousquet) فى كتاب : (L'ethique sexuelle de l'Islâm) الذى نشـر له سنـة 1966 بباريس فى دار :

(G. P. Maisonneuve et la rose) والادعاء هو قوله : « لا خلق فى الاسـلام » : (Il n'y a pas de moraie en islâm) ننشر خلاصة المحاضرة التي ألقاها الدكتور خليل سمعان فى إجتماع الندوة العربية بجامعة ولاية نيويـورك فى بنغمطـن نقلا (عن منشورات هذه الجامعة) :

وبوسكه هذا ، فى كتابه المذكور اعلاه ، يصرح ، بدون خجـل ، انـه فى قوله بانعدام وجود خلق فى الاسلام ، انما يقلد سابقيه ، الهولنـدى سنـوك هرخرونيه والدانمركى تور اندريا ، الاول فى قوله بان الدين الاسلامى خـلى مما يسمى فى الغرب بالقانون ، والثانى فى تصريحه بان الدين الحنيف خـلى من النظام الدينى للعبادة بالمعنى اللاهوتى الغربى .

والمطلع ، المتحرر من العنصرية ، والموضـوعى ، ليس بحـاجة لمن يمحص مناقشا اقوال السادة هؤلاء . ان آراء كهذه لا يمكن ان يكون الدافع لهـا حب الاطلاع ، او ان تكون نتيجة بحث موضوعى رزين . فالواقع أن الاسلام تعرض ويتعرض لتهجمات تزمتية وعنصرية كثيرة ، هدفهـا تشـويه صـورة الدين الحنيف ، واظهاره بمظهر الدين البدائى الذى يتجاوب وحاجات شعب بدائى لا قدرة له على التفكيـر الفلسفى ـ الـدينى العميـق . ولكـم تمنيت لـو كـان باستطاعتى القول بان عملية تشويه سمعة الاسلام هى عملية فاشلة ، يقوم بها اشخاص صغار العقول متزمتون ، لا اثر لعملهم العنصرى هذا فى مجتمعهم المثقف . فالواقع ان هذا العمل العنصرى اضـر ويضـر بسمعـة الاسـلام والمسلمين ، واساء ويسىء فهم تعاليم الدين الحنيف ، وزاد ويزيد تجريحا فى سمعة الاسلام شعوبا ودولا ودبلوماسية .

وليس هدفنا اليوم تمحيص جميع اقوال السيد بوسكه فى الخلق الاسلامى ، وفى موقف الشريعة الاسلامية من العلاقات الزوجية وسواها فى احكام النكاح. وجل ما يسمح لنا وقت هذه الكلمة هو دحض رأى هذا الرجل ، بمجرد الاشارة الى تعاليم الاسلام الرئيسية ، المحتواة فى سجل هذا الدين السماوى ودستوره، القرآن الكريم . وتعلمون بأن هنالك مراجع أخـرى لمـن يـرغب فى التوسـع وزيادة الاطلاع ، هى فى أصول الفقه حديثا وقياسا واجماعا وما دونه السلف من فتاو فى هذا الموضوع الكثير التعقيد .

والمدهش حقا ان يقوم بحملة التشويه هذه اشخاص مثقفـون ، درسـوا ويدرسون حضارة العرب والاسلام ، يكتبون وينشرون المقالات والابحـاث عن تاريخ وآداب العرب والمسلمين ، ويدرسون فى معاهد الغرب لغـات العـرب

والامم المسلمة ... هذه الحقيقة ترغمنا على القول ان عملا كهذا لا يمكن ان يمت للعلم بصلة ولا يجوز ان يسمح لقائله بتدريس تاريخ العرب والمسلمين فى معاهد وجامعات ، شرقية كانت أم غربية . ان اعمال التشويه هذه يجب ان يشار اليها باسمها الحقيقي : الدعاية العنصرية .

ولنعد الى موضوعنا الرئيسي : لا وجود لكلمة « جنس » بمعنى Sesce فى القرآن وكتب اللغة القديمة . فالكلمة تعنى « النوع » وهى قريبة فى معناها من الكلمة الاغريقة génus المستعملة فى جميع اللغات الهنداروبية . واسم « الجنس » فى كتب اللغة لا يدل فى شيء على العمل الجنسى (أو التناسلى أو عمل الحب أو الجماع) وما نجد فى القرآن معبرا عنه بكلمة « النكاح » هو اتحاد الرجل والمرأة جسديا فى أحوال معينة أهمها وأكرمها عند الله الزواج . والقرآن الكريم يذكر احوال علاقات الرجل بالمرأة مفصلا وبدون غموض البتة. (راجع فى سورة البقرة الآيتين : 221 و 232 ـ وفى سورة النساء الآيات : 3 ، 22 ، 23 ، 25 ، 27 ـ وسوة القصص الآية : 27 ـ وسورة الأحزاب الآية : 49 ـ وسوة الممتحنة الآية : 10) ...

◆ **« الهداية » تصدر بتونس :**

وصلنا العدد الثالث من مجلة « الهداية » فى سنتها الخامسة وهى مجلة ثقافية إسلامية تصدر عن ادارة الشعائر الدينية بالوزارة الاولى بتونس .

وحكمة هذا العدد من القرآن الكريم قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم اعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم)** . وهى الآية عدد 71 من سورة الاحزاب . وقد جاء محتوى هذا العدد كما عهدناه سمحا معطاء كخلق الروح الاسلامية المتسامحة التى تمثلها فى شمول قولة الرسول الأعظم : **« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »** .

وانه لتمثل أشمل حين تتلى علينا من كلمات الله قوله جل جلاله : **(إنما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين اخويكم)** ص. ع.

◆ **ضروب الاخفاق المدرسى :**

دراسة علمية فى ميدان التربية والتعليم بالمدرسة الابتدائية من منشورات الدار التونسية للنشر بالاشتراك مع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

بالجزائر . وعنوان الكتاب « ضروب الاخفاق المدرسي » وجاء في 232 ص. وهو من تأليف « أندريه لوجال » وتعريب المرحوم الطيب الشريف الذي ولد بالقيروان سنة 1935 وفارق الحياة في عز شبابه بعد أن ترك للمكتبة التونسية كتاب « فكرة كومنولث اسلامي » وكتاب « آفاق جزائرية » وهما كتابان معربان من تأليف الكاتب : مالك بن نبي .

وللمرحوم الطيب الشريف ديوان شعر بعنوان « محاولة انعتاق » سيصدر عن الدار التونسية للنشر .

♦ الشعر .. سلطان الفنون الجميلة !

مجلة الشعر : ما زالت .. ولا زالت تحمل الينا كل شهر « الشعر وعلى عينه تاج لا يلبسه غير السلاطين » وقد جاء العدد التاسع «يناير 1978» محملا بنبأ يشرف كل الشعراء العرب في شخص صديقنا الشاعر رئيس تحرير « مجلة الشعر » الدكتور عبده بدوي الذي فاز أخيرا بجائزة الدولة التشجيعية للشعر عن ديوانه « السيف والوردة » .

ونحن اذ نتلقى هذا الخبر بمزيد من الارتياح والتقدير لا يسعنا الا أن نرفع أسمى عبارات التهاني له ، منوهين بانتمائه الى أصالة هذه الامة وعمقها التاريخي ، معددين على سبيل الاشارة لا على سبيل الحصر ، لأعماله الأدبية المنشورة والهام منها هو : شعبي المنتصر . طاقة من نور . كلمات غضبى . الارض العالية (أوبرا افريقية) . محمد (قصيد ساه‍فوني) . السيف والوردة . الحب والموت . نجولات الحجاج في الليل (تحت الطبع) . بجانب ما له من دراسات أخرى .

وأخيرا تحياتنا له .. وتحياتنا من نوع آخر للجنة الجوائز على تقديرها لشاعرنا الكبير الدكتور عبده بدوي .

♦ المنهل .. مجلة شهرية للآداب والعلوم :

تصدر هذه المجلة بجدة ـ المملكة العربية السعودية . وقد ورد علينا المجلد 38 / س 43 طافحا بالدراسات الادبية والاسلامية والعلمية بجانب الاركان القارة من ندوة (المنهل) وطبيب « المنهل » وبحوث لغوية . وطرائف ونوادر . ورسائل الى المحرر .

ورئيس تحرير هذه المجلة هو الاستاذ عبد القدوس الانصارى الذى صدر له أخيرا كتاب قيم بعنوان « مع ابن جبير فى رحلته » .

• **الفصول الأربعة :**

مجلة فكرية تصدر موسميا عن اتحاد الأدباء والكتاب بالجماهيرية العربية الليبية . وقد وصلنا منها العدد الاول من سنتها الاولى نذكر بعض ما جاء فيه: فى الانتماء والالحاق : بحث للاستاذ عبد الله القويرى . أصوات داخلية للشاعر : محمد الظاهر . قصائد ليبية من الشعر ألاروبى . الحديث للدكتور على فهمى خشيم وهو رئيس تحرير « الفصول الأربعة » . اعتذار عما أعطى موسم الورد : شعر الاستاذ فؤاد الحشن .. وغير هذا من التراث والنقد والتاريخ فى المجلة كثير . نرجو لها التوفيق والاستمرارية فى خدمة الفكر العربى .

• **العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية :**

أصدرت الدار التونسية للنشر هذا الكتاب فى طبعته الرابعة مصدرة إياه بهذه الكلمة : « باشارة سامية من المجاهد الاكبر .. تقدم الدار التونسية للنشر هذه الطبعة لكتاب : العمال التونسيون لأحد رواد الكفاح الاجتماعى فى تونس « الطاهر الحداد » .

ينقلنا هذا التصدير الى تقديم موجز عن النشرة الرابعة ومنه الى تعريف بالطاهر الحداد مولده ، ونشأته ، وطفولته . ومراحل تعلمه . انضمامه الى الحزب الدستورى التونسى . مساهمته مع محمد على فى بعث حركة عمالية تونسية.وقد أصدر كتابين هما : «العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية» وكتاب « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » .

وقد عرف الحداد بكتاباته الاجتماعية ، وشعره السياسى . ونشاطه الصحفى . وقد انهى حياته فى عزلة تكاد تكون تامة وسقط أخيرا ضحية مذهبه الاصلاحى إزاء التعصب المقيت الذى لاقاه عند إصداعه بآرائه الاصلاحية وفريسة مرض الصدر فى 7 ديسمبر 1935 .

• **من وحى المؤتمر الحادى عشر للادباء العرب :**

وافانا الشاعر محمد الشعبونى « على هامش مؤتمر أدباء العرب » الحادى عشر المنعقد بطرابلس / ليبيا من 24 الى 30 سبتمبر 1977 . بتسجيل فى شكل أراجيز خص فيها كل عضو من أعضاء وفد اتحاد الكتاب التونسيين بأرجوزة بدأها بأبيات ارتجلها بجامعة (قار.يونس) ببنغازى تحية للجامعة تلك ، وهى

كما يلي ، ونحن اذ ننشرها فعملا بالقولة النبوية : روحوا النفس ساعة بعد ساعة فانها اذا كلت عميت.وتعريفا ببعض أعضاء الوفد التونسي لذلك المؤتمر:

تحية قلبية هي شعار الفرحة
يشدو بها متيم في حبه للاخوة
(وقار يونس) ههنا ندخلها في نشوة
نعتز بالابناء في شوق وفي حرية
تحية أرفعها لاخوتي في نخوة
ندية ، شذية وهي لكم هديتي
يبقى صداها ههنا مترجما عن فرحتي
(جامعة) كهذه سر نماء اللغة
تحمل في رحابها آمال هذي الأمة
دمتم حماة للنهى دمتم منار العزة
في ظل نور فاتح في رفعة ، ومنعة

ثم يعود الأخ الشعبوني لينطلق بنا ـ على اسم الله ـ من مطار تونس ـ قرطاج الدولي في اتجاه ليبيا منشدا :

طارت على اسم الله تعلو الطائرة في رحلة للادباء ظافره
ارست بنا سالمة في ليبيا وكان هذا الوصف من نصيبيا
نظرت في وفد بلادي المنتقى وكلهم للقلب حقا اصدق
ما فيهم غير الوفا والعطف وأدب . وهمة . ولطف
وها أنا استعرض الاخوانا في رجز محبب أوزانا

* * *

المرزوقي :

لا ريب في شعبية المرزوقي شعبية كاملة الحقوق
وروحه لطيفة كريمة همته عالية صميمه
(وحقة النشوق) ما أروعها فرحم الله الذي أبدعها

* * *

العروسي المطوي :

عزيمة ، وهمة ، وتجربه ووحيه في (قصص) ما أخصبه
(هو العروسي) قلم ممتاز يسمو به في فنه الاعجاز
(في توته المر) وفي (حليمه) وفي (الضحايا) قصص صميمه

* * *

محمود السعدى :

زان اليراع (المسعدى محمود) قلمه بالمنتقى يجود
(وسده) فتح الى الافهام وشعلة تبقى مدى الايام
قلمه قد بلغ الاعجازا وصاغ فنا فى الحمى ممتازا

* * *

احمد اللغماني :

بالشعر يسمو (أحمد اللغماني) رب الوفا والعطف والوجدان
(فقلبه أنشودة على شفه) وروحه عبر الحياة مرهفه
انت النشيد بيننا يا (أحمد) والفن فيما تنتقيه أخلد

* * *

أبو القاسم كرو :

صبر وكد ويراع حر ذاك شعار دائم (لكرو)
عرفته فى زمن الدراسه رمز الاباء واللطف والكياسه
نتاجه منوع غزير وعزمه فى سيره كبير

* * *

مصطفى الفارسي :

(للفارسي المصطفى) خواطر وقصص تنمو بها المشاعر
تحرك وعمل ، وشمم وفكرة بناءة وقلم
شعاره (هى الحياة قنطرة) فلسفة عميقة معبره

* * *

الجيلاني ابن الحاج يحيى :

يسمو اللقاء (بالاخ الجيلاني) رمز الوفا والصدق والايمان
يا عاشق الكتاب من صباه والحرف سر كلنا يهواه
جوزيت عن لغتنا الابية ما ترتضيه النخبة الوفية

* * *

محيي الدين خريف :

يا شاعر الواحات والفنون والشعر وحى عند (محيى الدين)
يستلهم الاشعار (فى الطبيعه) مكتنها اسرارها البديعه
رأيت فى لوحاته الجمالا (وكلمات) تزدهى اكتمالا

نور الـدين صمـود :

بين الرفـاق الادبـا (صمـود) واللطـف مـن أخـلاقـه معهـود
وشـعــره مــوقــع جــذاب يشـدو بـه فى الملتقى الاحبـاب
والنقد فـن عند (نـور الـدين) وفـكــرة تنبــع عــن يقيــن

★ ★ ★

الميـدانى بن صـالح :

وتحفـة الاخـوان فـى الميـدان شاعرنا (ابن صـالح الميـدانى)
لا يـعــرف الـراحـة والقعـودا يحتــرم المجلس والـعـهــودا
يبدو الوفا فى ذكـر (قرط أمه) وفى دواويـن سمـت مـن نظمـه

★ ★ ★

المختـار جنـات :

وحسبكم يـا اخـوتى (جنـات) (مختارنـا) تزهـو بـه الحيـاة
قصصـــه لطيفـــة كلطفـــه يحمى الرفـاق من كبيـر عطفـه
قلمـه قـد صـاغ (الارجوانـا) ودعـم الاخـلاص والايمـانـا

★ ★ ★

نور الـدين بلقـاسم :

يصفو حديثى فيك يا (ابن القاسم) يـا خير من عـرفت فى العظـائم
يـراعــه فـى فـنــه جــوال ونـقــده مـهــذب سلســال
أدعـو لـه بالفـوز والتـأييـد والعـز فـى ميدانـه الجـديـد

★ ★ ★

سمـيـر العيـادى :

وفـاز فـى نـدوتنـا (سميـر) كــل الى حكمتـــه يشيـــر
وهـمـــه كلمـــة مبـــاحـــه وخـدمـة الآداب فـى صراحة
شعــاره الثبــات فـى المبـادى فامضى الامام أيهـا (العيـادى)

★ ★ ★

صـالح الجـابرى :

(والجابرى) في النضال (صالح) وسـعـــده مـبـــارك ونـاجـح
كتبــه تشهــد بالـســداد وعـزمـه يسمـو عـلى الأشهـاد
وهـــو اذا عـــزم لا يـبـــالى غيـر اعتنـاق المجـد والكمـال

★ ★ ★

إبـراهيم شبـوح :

وزان هـذا الملتقـى (شبـوح) وكـان مـن شعـاره الـوضـوح
يسعـى دوامـا لانتصـار الفـن وهـو الـذى للمجـد حقـا يبنـى
تحيـة منـى (لابـراهيمـا) أبعثهـا لشخصـه تسليمـا

* * *

رضـا سويسى :

مسك الختام فى رفاقنا (رضـا) نجـم لطيـف فى سمائنـا أضـا
يهمـس فـى كـلامـه تـواضعـا ويمـلأ الأوراق والمسـامعـا
بـه ختمـت كـل أهـل الوفـد يبقـى سجلا لهـم مـن بعـدى

* * *

محمـد مـزالى :

تحيـة الى رئيـس (الاتحـاد) وصاحب (الفكـر) ونبع الاتقاد
أعنـى بـه صديقنـا (محمـدا) من أخلص العهد ضميـرا ويـدا
بمثلـه تفتخـر (الأقـلام) وتـرتقـى فـى تـونس الأفهـام

* * *

◆ **بلادى الثقافية فى عامها الثانى :**

مرت سنة كاملة على « بلادى الثقافية » التى تصدر شهريا ضمـن جـريدة « بلادى » الاسبوعية التى يديرها الزميل الاستاذ حسين المغربى . ويسهر على المادة الثقافية فيها الشاعر الشاب : محمد أحمد القابسى .

وقد استهلت سنتها الثانية بالعدد الاول فيفـرى 1978 الذى جـاء نابضا فؤاده بحركات أدبية على اختلافها متكاملة ، متعانقة الابعاد رغم تباعد أعناقها. وقد تعودت أن لا أدخل الى « بلادى الثقافية » الا من صفحة « أقـلام جديـدة » لأنى لا أعيش الا متطلعا الى مستقبلنا فى حاضر متكىء على ماضينا . وذاك مـا يجعلنى ارفض الانبتات ولا أومن بالقطعية .

ولذلك فقد قرأت لكل من : محمد على الهانى وبلقـاسم برهـومى والحبيب المقرى وأحمد الخامس بن جدو الذى ذكرنى عنوان كتـابته بعنـوان مجمـوعة قصصية لهند عزوز (الدرب الطويل) أما عبد العزيز الفاخت فى أقصوصته :

ستثمر شجرتك يا حبيبتي ! فلم يفاجئنا بجديد الا من ناحية « الأقصوصة التي تنشر نفسها ثانية » والفرق بين النشرتين هو ان الثانية تلافت خطأ مطبعيا في الاولى .

وكلمة أخيرة للصديق أحمد الحمروني حول ما كتبه عن « قضايا بن سلامة » حيث لا يخلو ذلك العرض التلخيصي للكتاب من لمحات نقدية جادة تجعلني أقول له : النقد خلق . والمنتج جميع النقاد قراء له . أما الناقد جميع القراء نقاد له .

إعداد : **الصادق شرف**

كتب جديدة وردت الى المجلة

أهدانا أصدقاء « الفكر » من الادباء كتبهم الجديدة ونحن نشكرهم على هداياهم الثمينة ونتمنى لها الرواج ولمؤلفيها اطراد الانتاج في انتظار مزيد من التعريف . وهذه الكتب هي :

- نقائش جديدة من القيروان (المعهد القومي للآثار والفنون) ، تأليف : سليمان مصطفى زبيس .
- مكانة العقل في الاسلام (منشورات اللجنة الثقافية الجهوية بسوسة) ، تأليف : حسن مزيو .
- الطائران والحلم الابيض ، مجموعة شعرية للشاعرين : مصطفى النجار وعلي الرباوي .
- خليل جرجس خليل شاعر أو باقة حب اليه ، بقلم : حسن سيدلبيب وحسين علي محمد .
- إبحار في الزمن الغارق ، مجموعة شعرية : لبلقاسم المرزوقي .
- نجم أخضر ، تأليف : أحمد العش .
- مرآة داخل البحر ، شعر : كريم الشيباني .
- عرار الشاعر اللامنتمي ، تأليف : أحمد أبو مطر .
- الدفاع والاستقلال ، تأليف : النوري البودالي (باللغة الفرنسية) .